العتبة العلوية المقدسة
IMAM ALI HOLY SHRINE

السنة العشـــرون العـدد 205
صفـــــر 1448هـ - 2026م

الولاية

مجلة علمية ثقافية شهرية تصدر عن العتبة العلوية المقدسة
قســـم الشـــؤون الفكـــريـــة والثقافيـــة





حدث في مثل هذا الشهر

أبرز الأحداث التأريخية
لشهر صفر

- الأول منه واقعة صفين سنة ٣٧هـ..
- الأول منه دخول سبايا أهل البيت عليهم السلام إلى بلاد الشام عام ٦١هـ.
- الثاني منه شهادة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام سنة ١٢١هـ.
- الخامس منه شهادة رقية بنت الحسين عليها السلام سنة ٦١هـ.
- السابع منه شهادة الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام سنة ٥٠هـ.
- التاسع منه واقعة النهروان سنة ٣٨هـ.
- السابع عشر منه شهادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام سنة ٢٠٣هـ.
- العشرون منه ورود السبايا من أهل البيت عليهم السلام أرض كربلاء سنة ٦١هـ.
- الثامن والعشرون منه شهادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله سنة ١١هـ.



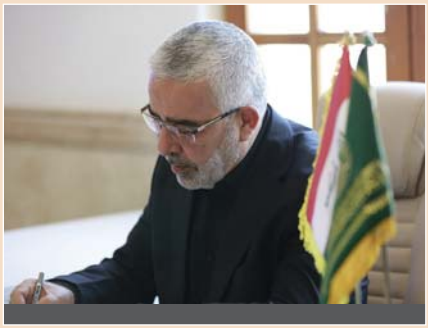
المشرف العـــام	السيـد عيسى الخرسـان
رئيس التحريـــر	د. محسن عبد العظيم الخاقاني
مدير التحريـــر	د. حســـين فاضل الحكيـم
سكرتير التحريـــر	هشـــام أمـوري السمـــاك
المحـــــــررون	هاشم محـمد البـــاججي حيـــدر رزاق الكعـبي عبد الحسن هادي الشافعي
التصحيح اللغـــوي	د. ستـــار عبد الله العيداني
السلامة الفكـــرية	فـــاروق أبـــو العـــبرة
تصمـــيم الغلاف وتوليد الصـــور	أحمـــد مـــكي القـــرشي
التصميم والإخـراج	حيـــدر حميد الكريـطي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (1121) للعـــام 2008م

رقـــم الاعتمـــاد فـــي نقابـة الصحفييـــن العراقـــيين (744)

alwelayh.com - info@alwelayh.com - 07700553150

الثائر الصابر



السيد عيسى الخرسان
الأمين العام

بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، دخلت الأمة الإسلامية مرحلةً دقيقةً من تاريخها، إذ كانت قد قطعت أكثر من نصف قرن منذ إشراقة البعثة المحمدية المباركة، وهي مدةٌ كافية لأن تتبدل الأجيال، وتتغير النفوس، وتضعف آثار التربية النبوية المباشرة في قطاع واسع من المجتمع. ولم يكن المجتمع الإسلامي يومئذٍ هو المجتمع الذي شيّده رسول الله صلى الله عليه وآله على عين الوحي، بل كان قد طرأت عليه تحولاتٌ سياسية واجتماعية وفكرية عميقة، أفرزتها الفتوحات المتلاحقة، وتباينت معها مستويات الوعي والالتزام، حتى غدت الأمة تعيش حالةً من الاضطراب في تشخيص الحق، والوهن في الثبات عليه.

وحين آل أمر الإمامة الظاهرية إلى سبط رسول الله وسيّد شباب أهل الجنة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وجد نفسه بإزاء واقع بالغ التعقيد، لم يكن يشبه شيئًا مما واجهه أمير المؤمنين عليه السلام في بدايات خلافته.

فقد ورث مجتمعًا أنهكته الفتن، وأتعبته الحروب، واستنفدت قواه وقائع الجمل وصفين والنهروان، حتى استولى على كثيرٍ من النفوس السأم من استمرار المواجهة، وصار طلب العافية مقدّمًا عند فئاتٍ واسعة على مقتضيات التكليف الشرعي وصيانة المبادئ.

وكان من أعظم ما ابتُلي به الإمام عليه السلام تزلزل البنية الداخلية لمعسكره؛ فإن جيشه لم يكن مؤلفًا من طبقةٍ واحدةٍ في الإيمان واليقين، وإنما اجتمع فيه المؤمن الصادق، وصاحب العصبية، وطالب الدنيا، والمتربص، والمندس الذي كان يعمل سرًّا لحساب معاوية. ولذلك لم يكن الخلل ناشئًا من قوة الخصم فحسب، بل من ضعف الجبهة الداخلية، حتى غدت القيادة الشرعية تواجه معركةً مع النفوس قبل أن تواجه معركةً مع السيوف.

ثم إن معاوية لم يعتمد في صراعه على القوة العسكرية وحدها، بل أدرك أن الطريق الأقرب إلى إسقاط دولة الحق إنما يمر عبر إفساد الضمائر وشراء الذمم، فبذل الأموال لرؤساء القبائل، ووعدهم بالمناصب، وأشاع الكتب المختلقة، وبث الإرجاف بين الناس، حتى تسرّب الشك إلى القلوب، وانفرط عقد كثيرٍ ممن كانوا يُظهرون النصرة، فإذا ساعة الامتحان كشفت حقيقة مواقفهم، فانقلب بعضهم على إمامه، وتخاذل آخرون، وفرّ فريقٌ ثالث إلى معسكر الشام.

وإلى جانب ذلك، كانت العصبية القبلية التي جاهد الإسلام طويلًا في تهذيبها قد أخذت تستعيد حضورها، وأصبح الانتماء القبلي والمصلحة الشخصية عند جماعةٍ من الناس أقوى من الانتماء إلى خط الرسالة والإمامة، الأمر الذي جعل المجتمع الكوفي يفتقد تلك الروح الرسالية التي كانت تمثل سرّ صموده في عهد النبي صلى الله عليه وآله وفي أوائل عهد أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن هنا لم يكن الإمام الحسن عليه السلام يواجه جيش معاوية وحده، وإنما كان يواجه مشروعًا متكاملًا لتغيير هوية الأمة، وتحويل الخلافة من امتدادٍ للنبوة إلى سلطانٍ يقوم على الغلبة والملك، ويستند إلى الإعلام الموجَّه، والمال السياسي، واستغلال الأهواء. وقد أدرك الإمام عليه السلام ببصيرته الإمامية أن الإصرار على الحرب في ظل هذا الواقع لن يفضي إلى حفظ الدين، بل إلى استئصال الصفوة المؤمنة، والقضاء على البقية الباقية من حملة الرسالة.

وعليه، فإن الصلح الذي انتهى إليه الإمام عليه السلام لم يكن ثمرة ضعفٍ أو وهن، ولا تعبيرًا عن تراجع عن الحق، وإنما كان موقفًا شرعيًا أملاه ميزان المصلحة العليا للإسلام، بعد أن سقطت القدرة الفعلية على تحقيق النصر العسكري، وبقي الواجب متجهًا إلى حفظ أصل الدين، وصيانة خط الإمامة من الاستئصال. ولذلك كان صبر الإمام الحسن عليه السلام لونًا من ألوان الثورة، بل هو أعمق أثرًا وأبعد نظرًا؛ لأنه واجه الانحراف بالحكمة حين لم تعد المواجهة المسلحة تحقق غايتها، وأقام الحجة على الأمة، ومهّد بوعيه وصبره للنهضة الحسينية المباركة، التي كشفت القناع عن حقيقة المشروع الأموي، وأثبتت أن موقف الحسن وموقف الحسين عليهما السلام إنما هما وجهان لحقيقةٍ واحدة، هي حفظ الإسلام المحمدي الأصيل مهما اختلفت الوسائل وتباينت مقتضيات الزمان.

٨
قـــــــــاف

١٤
الكلـــم الطيـــب

٢٢
حتى يتفقهوا

٢٨
مع الحـــق

٣٨
بلسانٍ علويٍّ مُبين

٤٨
الصراط المستقيم

٥٦
لسان الأمة

٦٤
قُرَّة الأَعين



٧٢
ببليوغرافيا العلوم

٨٤
شؤون دولية

٩٠
الشرق والغرب

٩٨
ذاكرة الأمم

١٠٤
تراث خزانة العتبة العلوية

١١٢
يراع العلماء



قـــــاف

- تجليات الشراكة القرآنية في المشروع النهضوي للإمام الحسين عليه السلام

د. خليل خلف بشير
جامعة البصرة / كلية الآداب

تجليات الشراكة القرآنية في المشروع النهضوي للإمام الحسين عليه السلام

د. خليل خلف بشير
جامعة البصرة / كلية الآداب



مثّل الإمام الحسين عليه السلام الامتداد العملي للخط القرآني المقاوم، فكان موقفه من حكم يزيد بن معاوية امتدادًا لموقف القرآن من الطغاة والمفسدين، فنهضته بعيدة عن الصراع الشخصي والسياسي، وإنما كانت استجابة عملية لمجموعة من المفاهيم القرآنية الجوهرية التي تتعلق بصياغة الموقف تجاه الانحراف، وإحياء الوعي الجمعي للأمة بعد أن أصابها التزييف والتدجين.

المطلب الأول: القرآن الكريم في خطاب الإمام الحسين عليه السلام – المرجعية والبوصلة

أولًا: الموقف من الانحراف في ضوء القرآن الكريم

ينظر القرآن الكريم إلى الانحراف –خاصة عندما يصيب القادة والحكام– على أنه تهديد مباشر للرسالة وهدمٌ للمجتمع، ولهذا حذر من الركون إليهم فقال تعالى:﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾[هود: ١١٣]، وفي آية أخرى:﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا... إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[القصص: ٤]، ومن هنا كانت مقاطعة الإمام الحسين عليه السلام ليزيد بن معاوية، ورفضه البيعة له موقفًا قرآنيًا صريحًا؛ لأنّه رآه شخصًا مستهترًا بالدين، مستبيحًا للحرمات، مفرّغًا للشرعية من مضمونها وقد قالها صراحة: ((ويزيد رجل فاسق، شارب للخمر، قاتل للنفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله))[١].

وكان في ذلك تطبيقًا عمليًا لمضمون قوله تعالى:﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾[الكهف: ٢٨]، فالإمام رأى أنّ الطاعة لسلطة تجهل الذكر وتخضع للشهوات، تعني الخروج عن مسار القرآن.

ثانيًا: استعادة الوعي الجمعي من خلال مفاهيم قرآنية:

لقد شهد زمن يزيد حالة من غياب البصيرة العامة، حيث كانت الأمّة مبلبلة بين الخوف والطمع والتأويل الفاسد، وهنا برزت وظيفة الإمام الحسين عليه السلام في إنقاذ الأمّة من حالة التيه والجمود، عبر تفعيل المفاهيم القرآنية الكبرى والتي نجملها بالآتي:

١. الولاية الصالحة: قال تعالى:﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[المائدة: ٥٥]، فالإمام الحسين عليه السلام جسّد هذا المعنى في قوله: ((إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومحل الرحمة... ويزيد رجل فاسق...))[٢]، أي: أن القيادة يجب أن تكون للمؤهلين قرآنيًا وروحيًا، لا لمن تسلّط بالسيف والدعاية.

٢. البلاغ المبين : استنهض الإمام الأمّة بخطاب واع، كما كان البلاغ القرآني في زمن الأنبياء، وكان هذا جليًا في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية، حين قال: ((من رأى سلطانًا جائرًا، مستحلًا لحُرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنة رسول الله... فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقًا على الله أن يدخله مدخله))[٣].

وهذا من روح الآية:﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا... كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ**﴾[المائدة: ٧٨–٧٩].

٣. الشهادة طريقًا للبعث المعنوي: لم يكن الموت غاية في حركة الحسين عليه السلام، بل كان وسيلة لإعادة بعث الحياة في الأمّة، وهذا ما فهمه الإمام من قوله تعالى:﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا**﴾[آل عمران: ١٦٩]، وقوله:﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ...**﴾[التوبة: ١١١]، ومن هنا قال لأصحابه ليلة عاشوراء: ((ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة))[٤].

وهذا الوعي القرآني جعل الإمام يختار القتل بكرامة، على الحياة بذل، موقنًا أن دمه سيوقظ الأمّة، ويعيد ترتيب القيم الإيمانية حسب الأهداف القرآنية.

ثالثًا: مركزية الوعي في المشروع القرآني الحسيني

إذا كان القرآن قد أكد أن ﴿**الذكرى تنفع المؤمنين**﴾[**الذاريات:٥٥**]، فإن الإمام الحسين عليه السلام مارس هذا التذكير بأقصى درجاته في خطاباته إلى الناس، وحتى إلى أعدائه، فكان يخاطبهم ويذكّرهم بالنسب والقرآن وسيرة النبي، ولكنه كان يعلم أن القلوب قد طُبع عليها، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ**﴾[البقرة: ٧]، وكذلك ﴿**فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾[البقرة: ٧٤].

ومع ذلك لم يتوقف عن أداء الحجة؛ لأن وظيفة الإمام –كما وظيفة النبي– لا تتوقف عند رد الفعل، بل عند تفعيل الحقيقة وتبليغ الرسالة.

المطلب الثاني: النهضة الحسينية بوصفها حركة قرآنية في مواجهة تحريف الدين

إن شهادة الإمام الحسين عليه السلام لم تنفصل عن المسار الإلهي في التأريخ، وإنما هي حلقة متقدمة من حلقات الصراع بين خط الهداية الإلهية وخط الطغيان والانحراف، فالسُنة القرآنية تؤكد أن الأنبياء وأولياء الله كانوا دومًا هدفًا للبطش والقتل من قِبل قوى الباطل؛ لأنهم يمثلون مشروع الإصلاح، وإيقاظ الضمير، وإعادة التوازن إلى الحياة البشرية، وعلى هذا الأساس تتنزل شهادته عليه السلام ضمن السياق السنني القرآني، بوصفه مصداقًا قرآنيًا حيًا للصراع بين الحق الذي لا يُساوم، والباطل الذي لا يتوقف عن التضليل كما في المحاور الآتية.

أولًا: منطق الصراع في القرآن الكريم

عرض القرآن الكريم صراع الحق والباطل كظاهرة متكررة، وليس حدثًا عابرًا، قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ**﴾[الفرقان: ٣١]، وفي آية أخرى:﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ...**﴾[البقرة: ٨٧].

إن هذا القانون الإلهي (وجود أعداء دائمين للحق) هو ما واجهه الإمام الحسين عليه السلام، فعداؤه مع يزيد لم يكن خلافًا شخصيًا، بل كان امتدادًا تاريخيًا لهذا المسار القرآني؛ لأنه يمثّل (كلمة الله) في زمانه، ويزيد كان يمثل (الباطل المموّه) الذي لبس لبوس الدين.

ثانيًا: شهادة الحسين عليه السلام تجلٍّ قرآني لفريضة الابتلاء

قال تعالى:﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾[العنكبوت:٢]، وآية أخرى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ**﴾[البقرة: ١٥٥].

فالابتلاء سنة إلهية لازمة لإظهار صدق الإيمان من زيفه، والإمام الحسين عليه السلام جسّد هذا الفهم حين اختار طريق الشهادة عن وعي وبصيرة، وقدّم أغلى ما يملك، أهله وولده وذاته؛ ليكون امتحانًا لأمّة فقدت معاييرها؛ وكي يكشف من باع دينه بدنيا غيره، ممن ثبت على عهد الله عز وجل.

من هنا قال عليه السلام يوم عاشوراء: ((صبرًا بني الكرام، فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم من البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة))[٥]، كما كان يقرأ على أصحابه:﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ...﴾[الفجر: ٢٧–٢٨]، في مشهد يجمع بين التسليم السنني والبصيرة القرآنية.

ثالثًا: الشهادة وسيلة لفضح الباطل وإقامة الحجة

قال تعالى:﴿**لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**﴾[الأنفال:٤٢]، وهذا ما طبقه الإمام الحسين عليه السلام في نهضته، إذ إن شهادته لم تكن للهلاك بل لإقامة الحجة التأريخية والأخلاقية على الأمّة؛ لذلك قال يوم عاشوراء: ((إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحرارًا في دنياكم...))[٦].

لقد كان الحسين عليه السلام يقدّم دمه ليبقى صوت الحق عاليًا، ويجعل من كربلاء منصةً أبدية لفضح الزيف، تمامًا كما جعل القرآن الكريم من نصوصه الواردة في قصة يوسف وموسى وعيسى عليهم السلام كشفًا لوجوه الباطل المتجدد لمن يدعى وصلًا بالدين وأحكامه.

١– أحمد بن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ١٤.
٢– المصدر نفسه.
٣– المصدر نفسه.
٤– المسعودي، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب: ١٦٦.
٥– الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية: ٥٢.
٦– الموفق الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ٢/ ٣٨.

قسوة بني إسرائيل ضد المصلِحين وتجلياتها في بني أمية- قراءة قرآنية



ذمّ الله – تعالى – اليهودَ في مواضع متعددة من كتابه الكريم، ووصفهم بنقض العهود والكفر بآياته، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [النساء: ١٥٥] كما اقترن كفرهم بواحدة من أعظم الجرائم البشعة، وهي قتل الرسل والأنبياء، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[البقرة: ٦١]؛ ليصل الحال بقسوتهم وتعديهم على حدود الله تعالى، بعدم الاكتفاء بقتل النبيين فحسب، بل قتل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران : ٢١] وغيرها من الآيات الحاكية عن قسوة بني إسرائيل وبطشهم ضد الأولياء والصالحين.

ولا يخفى أن القرآن الكريم لم يكن لزمان من دون آخر، بل تنطبق مضامينه على مصاديق متعددة، ومن أبرز مصاديق ممارسة القسوة والبطش ضد الأولياء والمصلِحين ما فعله بنو أُمية مع الإمام الحسين عليه السلام وحركته الإصلاحية، ويتجلّى ذلك في إحدى محاورات الإمام الحسين عليه السلام مع عبد الله بن عمر –كما يذكر التأريخ– عندما عزم على الخروج إلى العراق، فبيّن له كيف أن الله سبحانه سينتقم من الظالمين ممن يسعى لقتله، كما انتقم من بني إسرائيل بعد قتلهم الأنبياء والمصلِحين، كما بيّن قسوة القوم الظالمين ومدى استهانتهم بالدماء والطغيان، وأن الله سبحانه وتعالى قد يمهل الظالم ولا يعجّل له العقوبة، ولكنه يأخذه بعد حين بقوة عزيز ذي انتقام، فقال الإمام الحسين عليه السلام لابن عمر: ((أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبيًا، ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئًا ، فلم يعجِّل الله عليهم، بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام))[1].

وفي هذه العبارة –على قصرها– بيان لما كان عليه بنو أُمية من طغيان وظلم، بما جعل الإمام عليه السلام يُشبّههم ببني إسرائيل، فيصف عظم عدم المبالاة من قِبل بني إسرائيل والاستخفاف بالدماء الزكية، عندما كانوا يقتلون الأنبياء والمصلِحين في أول النهار، ثم يمارسون حياتهم اليومية بشكلٍ طبيعي، وكأنّ شيئًا لم يحدث. بل كأن هذا الأمر –القتل– أصبح أحد مفاصل حياتهم اليومية، فكان قتلهم الأنبياء من أهون الأُمور لديهم، فيذهبون بعد القتل لبيع البقل والخضار في أسواقهم، ويستمرون في تلك الحال لآخر النهار.

وفي العبارة دلالة على الرضا المجتمعي للجريمة التي تحدث مهما عظمت، فمجتمع بني إسرائيل مجرمٌ بأكمله بحسب كلام الإمام، وإنْ لم يُشارك بشكلٍ مباشر بعملية قتل الأنبياء، إلا أنه كان ميتًا ضميريًا، إذ لم يعترض أحد على ذلك الفعل الشنيع، فالأفراد القَتلة يعودون إلى السوق والناس يتقبلونهم كأفراد مألوفين غير مستنكرين عليهم فعلهم، وبرضاهم فعل من قَتَل يكونون بمنزلته من الجرم.

مضافًا إلى أن بعض أصناف المجتمع لعلهم كانوا يرون في الفئة القاتلة الصلاح والشجاعة والإقدام، وهو عين ما كان يسوّق له بنو أُمية في موقفهم ضد الإمام الحسين عليه السلام، والناس متغافلون عما يميّز الحق عندهم، حتى باتوا بحاجة إلى ما يفيقهم من غفلتهم، بإظهار قبح من يوالون من الظالمين وبشاعتهم، باستعدادهم لارتكاب أفظع جريمة بأبشع صورها في واقعة كربلاء، من دون تأنيب للضمير أو شعور بقسوة القلوب، فضلًا عن اتخاذه تمردًا على أوامر الله عز وجل، المرسِل للأنبياء، بغية نجاة الأمّة من الهلاك، وقد كان الإمام الحسين عليه السلام يسعى لتحقيق الإصلاح في أُمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله، سيرًا على سِيَر الأنبياء والصالحين.

١–أحمد بن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ٢٥، ظ:

الكلم الطيّب

- نشأة مصطلح سليم الحديث وتطوره في التراث الرجالي الإمامي

الباحث: الشيخ فلاح محمد السعدي
الحوزة العلمية في النجف الأشرف



نشأة مصطلح سليم الحديث وتطوره في التراث الرجالي الإمامي

الباحث: الشيخ فلاح محمد السعدي
الحوزة العلمية في النجف الأشرف

في الاصطلاح الرجالي الإمامي، يُقصد بـ "سليم الحديث" أن يكون الراوي معتمداً في روايته، لا يخلط الحديث الصحيح بالضعيف أو الموضوع، ولا يروي عن الضعفاء والكذابين إلا نادراً، ويكون غالب رواياته مقبولة معتمدة، فراوي الحديث ليس مجرد "ثقة" فحسب، بل هو ثقة في طريقة نقله وانتقائه للروايات، يمكن تشبيهه بالراوي "الذي ينقّي روايته" أو "الصدوق الذي يتحرى في ما يرويه".

وفي مثل هذا الأمر ورد هذا المصطلح فيما قيل: ((قال مطرّف بن مازن، قاضي اليمن: قال لي الرشيد يوما: مَنْ عبد الرزّاق ابن همّام الصنعاني[1] ؟ فقلت: رجل من أهل الحديث، سليم الحديث ثقة))[2].

وكذلك ما ورد عن: ((عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، عدّه الشيخ في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وقال: "روى عنهما يعني عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام"))[3].

وقد ورد عن النجاشيّ أنه ذكر في ترجمة أبي عليّ محمّد بن همام بن سهيل: ((... قال سهيل (جده): لقيت في حجّي عبد الرزاق بن همام الصنعاني، وما رأيت أحداً مثله، فقلت له على خلوة: نحن قوم من أولاد الأعاجم وعهدنا بالدخول في الإسلام قريب، وأرى أهله مختلفين في مذاهبهم، وقد جعلك الله من العلم بما لا نظير لك فيه في عصرك، وأريد أن أجعلك حجّة فيما بيني وبين الله عزّ وجلّ، فإنّ رأيت أن تبيّن لي ما ترضاه لنفسك من الدين لأتّبعك وأقلّدك. فأظهر لي محبّة آل رسول الله صلى الله عليه وآله وتعظيمهم والبراءة من عدوّهم والقول بإمامتهم))[4].

وكذلك ورد في: ((رجال النجاشي: ٣٨٤ الرقم ٢٠٩: (وحديثه قريب من السلامة)، وجاء في: الفهرست: ٢٨ الرقم ٧٥ ورجال العلاّمة الحلي: ١٦ الرقم ١٦: (سالم الجنبة) وهو بمعنى سليم الحديث، وذكر البهبهاني قائلاً، ولم نعثر على لفظ (سليم الحديث) في كتب الرجال[5].

وأيضاً قد ورد عن: ((عبد الله بن أبي عبد الله بن محمّد بن خالد بن عمر الطيالسي، وكان جليل القدر، سليم الحديث، نقيّ الرواية))[6].

النشأة والتطور التأريخي:المرحلة التأسيسية (عصر الأئمة والأصول الأربعمائة):

في هذه المرحلة، لم يكن هناك تصنيف رسمي للمصطلحات الرجالية بالشكل الذي نعرفه لاحقاً، إذ كان التركيز مُنصباً على تمييز الرواة الثقات عن غيرهم، بناءً على تقييم الأئمة عليهم السلام المباشر أو توصيات أصحابهم، ففي المدة التي انتشر فيها الحديث المكذوب، سواء على رسول الله أم أهل بيته الأطهار عليهم السلام توجّه الأئمة إلى بيان الحديث المكذوب من السليم بعدة طرائق[7]، منها:

أولا: التشهير واللعن والطرد لكل كذاب ومدلس، أمثال أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الكوفي[8]، والمغيرة بن سعيد[9]، وبنان بن بيان[10]، وغيرهم.

ثانيا: بتعريف قواعد وموازين خاصة لمعرفة سليم الحديث من سقيمه، مثل: ما رواه الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام، عن جده الرسول (صلى الله عليه وآله، قال: ((خطب النبي بمنى، فقال "أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله))[11]، ما ورد في كتاب الإمام علي لمالك الأشتر: ...﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ فالراد إلى الله الآخذ بمحكم كتابه، والراد إلى الرسول الآخذ بسنته الجامعة غير

المفرقة"[١٢].

وبعد رحيل النبي الأكرم ﷺ، واستشهاد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ((هبّ أولئك الذين باعوا دينهم بدنياهم إلى وضع الأحاديث واختلاق الروايات إرضاءً للحكام، وتنفيذاً لرغباتهم وما يخدم مصالحهم، حتّى التبس سليم الحديث بسقيمه، واستعصى التمييز بين الحديث الصحيح والحديث الموضوع...))[١٣].

مرحلة التصنيف الرجالي المبكر (القرنان الرابع والخامس الهجريان):

مع ظهور كتب الرجال الأولى مثل "رجال الكشي"، "اختيار معرفة الرجال" للشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، بدأت ملامح المصطلح تتضح، فنجد في بعض النصوص المبكرة إشارات إلى تمييز من كان "لا يروي إلا عن ثقة كابن أبي عمير وابن أبي نصر وصفوان بن يحيى وجعفر بن بشير"[١٤]، أو من كان "مأموناً في روايته"، وهي تمهيد لفكرة "سلامة الحديث".

ونجد الكشي يستعمل عبارات منها: "كان سليم المعتقد في الرواية" أو يمدح الراوي بأنه "لم يَرْوِ عن الضعفاء"، وهذه العبارات هي الجذر الأساسي للمصطلح، والاهتمام هنا كان نسبياً، حيث يُذكر مدح الراوي بسلامة روايته كأحد فضائله، دون أن يكون تصنيفاً مستقلاً، إذ إن ((قولهم لرواية معتمِدِ الكتاب: "ثقة في الحديث" أو ما يحذو حذوه. كقولهم: "سليم الحديث" و"سليم الطريقة". كقولهم: "فقيه من فقهائنا"أو "فاضل ديّن"))[١٥].

مرحلة التقعيد والضبط (المدة من القرن ٦-٨ الهجري):

في هذه المرحلة، بدأ علماء الرجال يضعون تعريفات دقيقة للمصطلحات في الحديث والرجال، ويُعد العلاّمة الحلي (المتوفى ٧٢٦ هـ) من أبرز من أسس لهذا المفهوم في كتابه "خلاصة الأقوال في معرفة الرجال"، كما عرّف العلاّمة الحلي "سليم الحديث" بأنه: "من لا يروي إلا عن ثقة، أو عمن قارب الثقة، ويكون مأموناً في نقله"، من هنا أصبح المصطلح تصنيفاً رجالياً واضحاً، يُفرق بين الراوي الثقة المطلق، والراوي الذي هو "سليم الحديث" فقط.

مرحلة التوسع والتفريع (من القرن ١٠ الهجري فما بعد):

وقد تطور المفهوم ليصبح أحد مراتب التوثيقات المتعددة، وأصبح العلماء يميزون بين: الثقة وهو الأعلى مرتبة، وبين سليم الحديث وهو أدنى من الثقة ولكن روايته مقبولة ومعتمدة في الجملة، ونجد هذا التقسيم بوضوح في كتاب "تنقيح المقال في علم الرجال" للمامقاني (ت: ١٣٥١هـ)، إذ خصّص فصولاً للحديث عن مراتب الجرح والتعديل، ووضع "سليم الحديث" في مرتبة متقدمة بعد "الثقة".

الفرق بين "سليم الحديث" والمصطلحات المشابهة:

ورد المصطلح والتعريف في نقل الحديث من حيث مرتبته في القبول، الثقة العدل، الضابط، الذي لا يخطئ في روايته غالباً، وأعلى المراتب، تقبل روايته بدون توقف.

وأن سليم الحديث ثقة في نقله، لا يروي عن الضعفاء إلا نادراً، وغالب رواياته سليمة، وأن له مرتبة عالية، حيث تقبل روايته ويُعتد بها، وهي دون مرتبة الثقة المطلق.

وورد في تعريف الراوي الصدوق: أنه الذي لا يتعمّد الكذب، لكن قد يخطئ في النقل، وهو مرتبة

متوسطة، تقبل روايته ولكن قد تحتاج إلى قرائن أخرى، ومن قيل عنه لا بأس به، ليس فيه قدح يمنع من العمل بروايته، ومن قيل فيه إن صفته مرتبة حسنة، تقبل روايته غالباً، فهذه مجموعة من المصطلحات التي تتشابه مع سليم الحديث.

أمثلة تطبيقية من كتب الرجال ورد فيها ذكر مصطلح (سليم الحديث):

١. الحسن بن محبوب الزراد من أصحاب الإمام الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام: وصفه النجاشي بأنه: "كان ثقة، جليل القدر، سليم الحديث"، فالجمع بين "ثقة" و"سليم الحديث" يدل على علو شأنه وتأكيد جودة نقله.

٢. أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام: قال عنه العلامة الحلي: "سليم المذهب، سليم الحديث، لا يروي إلا عن ثقة"، هنا نرى التعريف العملي للمصطلح.

الدلالة والاستنتاج

يُظهر تطور مفهوم "سليم الحديث" عدة أمور مهمة في المنهج السَنَدي الإمامي:

١. المرونة والدقة: إذ لم يكتفِ العلماء بتقسيم الرواة إلى "ثقة" و"ضعيف" فقط، بل وضعوا مراتب وسطى، تدل على الواقع المعقد للرواة في نقلهم الحديث.

٢. الاهتمام بالمتن والسند معاً: فمصطلح "سليم الحديث" يؤكد أن الثقة في الراوي لا تكفي وحدها، بل لابد من النظر إلى منهجه في النقل وعمّن يأخذ.

٣. الواقعية: إذ اعترف العلماء بأن بعض الرواة قد يكونون أمناء في أنفسهم، ولكن منهجهم في انتقاء الروايات أو شيوخهم هو ما يحدد قيمة مروياتهم.

الخاتمة

نشأ مصطلح "سليم الحديث" في أحضان التقييمات الأولى للرواة في عصر الأئمة عليهم السلام، ثم تشكّل بوصفه مصطلحاً في مرحلة التصنيف الرجالي مع الكشي والبرقي، ليقعّد له نهائياً مع العلّامة الحلي، ويصبح أحد المراتب المهمة في علم الدراية، وهو مصطلح يعبر عن عمق النظرية الإمامية في نقد الرواية، حيث تجمع بين نقد السند والمتن والراوي في آن واحد، مما يضمن سلامة نقل ووصول التراث الحديثي من الشوائب ما أمكن.

---

١. عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، أبو بكر الصنعاني، من حفاظ الحديث الثقات، كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث، وقال عنه الذهبي: إنه خزانة علم، انظر: تهذيب التهذيب: ٦ / ٣١٠، وفيات الأعيان: ١ / ٣٠٣ (الأعلام ٤ / ١٢٦).
٢. ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، بهجة المجالس وأنس المجالس: ٢ / ٧٤٣.
٣. النجاشي: رجال النجاشي: ٣٨٠.
٤. كتاب سليم بن قيس الهلالي: ١/ ٢٤٩.
٥. الرسائل الأصولية، محمد باقر الوحيد البهبهاني: ١/ ٣١٠.
٦. أحمد بن عبد الرضا البصري، فائق المقال في الحديث والرجال: ١٢٣.
٧. ظ: السيد مرتضى العسكري، معالم المدرستين: ٣/ ٢٦٧.
٨. القهبائي، مجمع الرجال ٥ / ١٠٦ – ١١٥ .
٩. المصدر نفسه: ٦ / ١١٧ – ١٢١ .
١٠. المصدر نفسه: ٦ / ١١٧ .
١١. الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٨ / ٧٩ من الباب ٩ من أبواب صفات القاضي، عن المحاسن.
١٢. نهج البلاغة في كتاب الإمام لمالك الأشتر، والوسائل ١٨ / ٨٦ ح – ٣٨ ، غير المفرقة: أي السنة التي اجتمعت عليها الأمّة.
١٣. علي الأحمدي الميانجي، مكاتيب الأئمة عليهم السلام: ٤ / ٩ – ١٠.
١٤. الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام: ١٠/ ٣٨٣.
١٥. أبو الفضل حافظيان البابلي، رسائل في دراية الحديث: ٢/ ٣٩١.

ما أوذي نبي مثلما أوذيت

تعد المصائب التي مرت على رسول الله ﷺ أعظم المصائب والمحن، التي أُصيب بها أنبياء الله وأولياؤه المصلحون عبر التأريخ، فهذا النبي الأقدس ﷺ ومنذ بدء دعوته في مكة المكرمة، مروراً بقيام دولته في المدينة وانتشار دعوته عالمياً، عانى كثيراً من المكائد التي حاكها المشركون والمنافقون ضده، فكم لاقى رسول الله ﷺ من أذىً لحق بشخصه الكريم مرات عديدة، أصابه فيه الكثير من الانتهاك والتوهين بصورة لا تطاق، مع عظم منزلته عند الله تعالى، حتى ورد عنه ﷺ قوله: (ما أوذي نبي مثلما أوذيت)[1]، فقد روي أن أبا جهل نحر يوماً جزوراً، ثم أخذ سلاها فغرسها بين كتفي رسول الله ﷺ وهو ساجد، فأقبلت فاطمة عليها السلام تطرحه عنه، فلما فرغ قال: ((اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وبعتبة بن ربيعة، وبشيبة بن ربيعة، وبالوليد بن عتبة، وبأمية بن خلف، وبعقبة بن أبي معيط، إنهم أوهنوني))[2]، وكم من أمثال هذا الانتهاك تكرر على رسول الله ﷺ من أتباع الشيطان.

وكم من مرة كانوا يريدون قتله فيها، إلا أن الله تعالى نجّاه منهم، وكانت أشهر حادثة منها اجتماع زمرة من المشركين على اغتياله عشية خروجه إلى يثرب، فكان أن فداه أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه بمبيته على فراشه تلك الليلة، وكذلك كان علي بن أبي طالب عليه السلام في كل موقف معه ﷺ.

لم تكفّ أيدي المشركين عن أن تنسج المكائد باستمرار لرسول الله ﷺ حتى بعد أن استتب الأمر لأمة الإسلام، ولعل من أبرز تلك المكائد محاولة اغتياله ﷺ في العقبة حينما كان عائداً من غزوة تبوك، حيث أراد جماعة من المنافقين أن ينفّروا ناقة رسول الله ﷺ وهو عليها عند حافة وادٍ سحيق.

لقد كان رسول الله ﷺ يعيش التأثر النفسي الشديد وهو يرى صدّ الناس عن سبيل الحق، وإيثارهم البغي والضلال على الهدى والاستقامة، حتى نزل قول الله تعالى إليه: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾[الكهف: ٦]، زيادة على ذلك، شدة كدحه في طاعة الله وطلب مرضاته، حتى ورد أنه كان يقف للعبادة عشر سنين على أطراف أصابعه، فتورمت قدماه واصفر وجهه، ويقوم الليل أجمع، حتى أنزل الله عز وجل عليه: ﴿**طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ**﴾[طه: ١-٢].

ومن بين كل هذه المآسي والآلام، كان أشدها وقعاً على قلب رسول الله ﷺ مصيبته في أهل بيته عليهم السلام، الذين لم يدّخر جهداً في بيان فضلهم وكرامتهم على الله سبحانه وتعالى، حتى قال مناشداً المسلمين في آخر ساعاته: (أوصيكم بأهل بيتي خيراً.. الله الله في أهل بيتي..)، إنه لو لم يكن لرسول الله ﷺ خصوصية من بين سائر خلق الله سبحانه، ولو لم يوجب الله على المسلمين مودة ذوي القربى أجراً على رسالته، لكان حريّاً بالناس أن يفوا له بجزء من فضل النبي ﷺ عليهم، وذلك حينما يخلفونه في أهل بيته عليهم السلام بأحسن الخلف.

١- المتقي الهندي، كنز العمال: ٣/ ١٣٠.

٢ -هاشم البحراني، حلية الأبرار: ١/ ١٠٨.


القرآن الكريم

وصايا محمدية

ما فتئ رسولُ الله صلى الله عليه وآله، حتى وهو على فراش الموت، يوصي بأهل بيته عليهم السلام من بعده؛ إذ كان يجتمع بالناس على الرغم من شدة مرضه يوصيهم بوصاياه الأخيرة، ويودعهم ويرشدهم إلى طريق الصواب؛ ألا وهو اتباع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل بيته الكرام (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، الذين مَن تمسك بهم لن يضلَّ أبداً.

فقد روي عن عبد الله بن عباس أنه قال: ((إنّ علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه، فقالوا: يا رسول الله هذه الأنصار في المسجد تبكي رجالها ونساؤها عليك، فقال: وما يبكيهم؟

قالوا: يخافون أن تموت، قال: أعطوني أيديكم فخرج في ملحفة وعصابة حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

"أما بعد، أيها الناس! فما تنكرون من موت نبيكم؟ ألم أنع إليكم وتنع إليكم أنفسكم؟ لو خلد أحد قبلي ثم بعث إليه لخلدت فيكم، ألا إني لاحق بربي، وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله تعالى بين أظهركم، تقرؤونه صباحاً ومساءً، فلا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، وكونوا إخوانا كما أمركم الله، وقد خلفّت فيكم عترتي أهل بيتي وأنا أوصيكم بهم، ثم أوصيكم بهذا الحي من الأنصار، فقد عرفتم بلاهم عند الله عز وجل وعند رسوله وعند المؤمنين، ألم يوسعوا في الديار ويشاطروا الثمار، ويؤثروا وبهم الخصاصة؟ فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسن الأنصار، وليتجاوز عن مسيئهم"، وكان آخر مجلس جلسه حتى لقي الله عز وجل))[1].

١- الشيخ المفيد، الأمالي: ٤٧.

حتى يتفقّهوا

■ تقليد الفقيه المتوفّى ابتداءً

آية الله السيد محمد رضا السيستاني (دام ظله)
أستاذ البحث الخارج/ النجف الأشرف

تقليد الفقيه المتوفّى ابتداءً

آية الله السيد محمد رضا السيستاني (دام ظله)
أستاذ البحث الخارج/ النجف الأشرف

المشهور بين فقهاء الإمامية عدم جواز تقليد الفقيه المتوفّى ابتداءً، وذهب قليل منهم إلى جواز ذلك، وقد استدلّ للجواز بوجوهٍ لا تخلو من الخدش، والمعنيّ بالبحث عنه في هذا المختصر وجه واحد هي (السيرة) التي اعتمدها بعض الباحثين في الحكم بالجواز وتردّد لأجلها بعضٌ آخر.

ويمكن تقريب السيرة بوجهين:

(الوجه الأول)

إنه لا إشكال في أن سيرة العقلاء كانت ولا تزال جارية على رجوع الجاهل إلى العالم والأخذ بقوله في مختلف حقول المعرفة ومنها علم الشريعة، وقد كان المسلمون منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام يتّجهون إلى الفقهاء في تعلّم أحكام الشرع الحنيف للعمل وفقها، ومقتضى الوضع الطبيعي أنهم لم يكونوا يفرّقون بين الأحياء والأموات في ذلك، فمن كان يأخذ الفتوى في مسألة من فقيه ينقلها إلى أولاده وأحفاده ليعملوا بها وإن كانوا ممن تجدّد تكليفهم بعد وفاة ذلك الفقيه، ولا يُراعى في عمل الأولاد والأحفاد بها كون أخذهم للفتوى قبل وفاته.

وكذلك من عرضت له مسألة فاستفسر عن حكمها إذا وجد من يعرفه من فتاوى بعض الفقهاء كزرارة ومحمد بن مسلم وأضرابهما لا يتوقّف في العمل بها إذا لم يكن صاحب الفتوى حياً في حينه.

وإذا كانت هذه هي سيرة المتشرّعة المعاصرين للنبي والأئمة المعصومين عليهم السلام فلا يخلو الحال من أنهم إما قد تلقّوا السير وفق هذا المنهج من المعصومين عليهم السلام أنفسهم أو أنهم قد جروا في ذلك وفق المنهج العقلائي العام في رجوع الجاهل إلى العالم من دون أن يواجهوا ردعاً عنه من قبل المعصومين عليهم السلام.

فعلى كلا التقديرين تثبت مشروعية العمل وفق فتاوى الفقهاء المتوفّين وإن كان الرجوع إليهم ابتدائياً.

و(الجواب عنه): إن ما كان يقع في زمن المعصومين عليهم السلام من الرجوع الابتدائي إلى فتاوى الفقهاء المتوفّين لا يمكن التأكد من استناده إلى ما صدر من المعصومين عليهم السلام من قول أو فعل، وكونه من الأمور المتلقّاة عنهم ليحكم بمشروعيته على أساس حجّية السيرة المتشرعية، بل يحتمل أنه كان مما يقع من المتشرّعة جرياً على المنهج العقلائي العام في رجوع الجاهل إلى العالم بلا فرق بين أن يكون العالم حياً أو ميتاً.

هذا من جانب ومن جانب آخر لا يبعد القول بأن موارد الرجوع الابتدائي إلى فتاوى غير الأحياء كانت جدّ محدودة في عصر المعصومين عليهم السلام، فإن الفتاوى لم تكن تصدر في الغالب إلاّ مشافهةً ولم تكن تُحرر وتُضبط بالكتابة إلاّ بصورة محدودة، ومعظم الكتب المؤلفة في ذلك العصر كانت تحتوي على الروايات والنصوص المروية عن الأئمة عليهم السلام وقلّما كان يتخلّلها شيء من الفتاوى الاجتهادية.

بالإضافة إلى أن معظم من كانوا يمارسون الفقه لم يكونوا إلاّ نقلةً للفقه المأخوذ من الأئمة عليهم السلام إما مباشرة أو بواسطة الآخرين من دون إعمال نظر واجتهاد في تطبيق الأصول على الفروع وغير ذلك من ضوابط الاستنباط

التي يمارسها المجتهدون.

ونتيجة ذلك أن أكثر ما كان يُتناقل من الأحكام الفقهيّة على ألسنة الناس ويحكيها الآباء للأولاد والأجداد للأحفاد لم تكن من قبيل الفتاوى المستنبطة من الكتاب والسنة، بل أحكاماً تمّ تلقّيها من الأئمة عليهم السلام مباشرة أو مع الواسطة، فلا يمكن أن يُعدّ العمل بها بعد وفاة الناقل الأول من الرجوع الابتدائي إلى فتاوى غير الأحياء.

وفي ضوء هذا المقال لا يمكن أن يُستكشف إمضاء الشارع المقدّس لما جرى بصورة محدودة من الرجوع الابتدائي إلى الفقهاء المتوفّين من جهة عدم الردع عنه؛ لأنه لا يمكن إثبات عدم الردع من خلال عدم العثور على ما يثبته.

والوجه في ذلك: أن أساس التمسّك بالسيرة العقلائية هو استكشاف إمضائها بعدم الردع عنها من جهة أنه لو كان قد وقع ردع عنها لوصل ذلك إلينا بمقتضى الطبع والعادة. والملازمة بين حصول الردع ووصوله إلينا إنما تكون مؤكّدة في حال سعة دائرة السيرة العقلائية، بمناط أنها إذا كانت متسعة فالردع عنها يجب أن يكون متسعاً أيضاً ليقع مؤثراً، ومتى اتّسع الردع فإنه سوف يتمثّل لا محالة في النصوص والروايات ويصل إلى الأجيال اللاحقة بصورة أو بأخرى، كما هو الحال في كل أمرٍ تكرر الحديث بشأنه وتمّ التأكيد عليه بصورة موسّعة على ألسنة المعصومين عليهم السلام.

ومن الواضح أنّ هذا البيان لا يأتي فيما لو كانت دائرة السيرة العقلائية الممتدّة إلى ما يمسّ الأحكام الشرعية دائرة ضيقة، كما هو الحال في الرجوع إلى فتاوى الفقهاء المتوفّين ابتداءً، فإنه لا شيء يمنع من احتمال وقوع الردع عنه على لسان الأئمة عليهم السلام مع عدم وصول خبره إلينا فتدبر.

(الوجه الثاني)

إنّ السيرة العقلائية القائمة على رجوع الجاهل إلى العالم إنما هي بمناط كاشفيّة رأي العالم عن الواقع نوعاً، تلك الكاشفية التي لا دخل للحياة فيها قطعاً، وهذه السيرة وإن لم تُطبّق في عصر المعصومين عليهم السلام في مجال أخذ الفتاوى من الفقهاء المتوفّين ابتداءً إلاّ بصورةٍ محدودة جداً مما لا يمكن معه استكشاف الإمضاء الشرعي لها من جهة عدم وصول الردع عنها إلينا كما مرّ، ولكن مع ذلك يمكن القول بأن النكتة التي بلحاظها يتيسّر استكشاف إمضاء الشارع المقدس للسيرة العقلائية الممتدة إلى الأمور الشرعية بصورة موسّعة هي ذاتها التي تقتضي في المقام موافقة الشارع المقدس على الأساس الذي قامت عليه السيرة العقلائية في رجوع الجاهل إلى العالم، وهو كما سبق كاشفيّة رأي العالم عن الواقع نوعاً بلا فرق بين كونه حياً أو ميتاً.

وتوضيح الحال في ذلك: إن من المقرر في محلّه من علم الأصول أن الوجه في استكشاف إمضاء الشارع المقدس للسيرة العقلائية الممتدة إلى الأمور الشرعية بمجرّد عدم ردعه عنها هو أن تشريعه للأحكام لمّا كان لغرض تأمين الملاكات الكامنة في متعلّقاتها، فلو فُرض أن فيما بنى عليه العقلاء في أمورهم العادية مما يُجرونه بحسب الطبع والعادة في الأمور الشرعية ما لا يرتضيه الشارع المقدّس لمنافاته مع تحقيق الملاكات المولويّة فلا بدّ له تأميناً لتلك الملاكات من ردع العقلاء عن إجرائه في الأمور الشرعية وإلاّ يكون مخلاً بملاكات أحكامه وهو ممتنع في حقّه.

وهذا البيان كما يقتضي قيامه بالردع عمّا لا يرتضي امتداده إلى الأمور الشرعية من السيرة العقلائية مما يمتدّ إليها في عصره بمقتضى الطبع والعادة لولا ردعه عن ذلك، كذلك يقتضي ردعه عمّا يعلم امتداده إليها في المستقبل لئلاّ تقع الأجيال القادمة في محذور مخالفة الملاكات المولوية.

ففي محلّ البحث إذا كان الشارع المقدّس لا يرتضي للمسلمين الرجوع الابتدائي إلى فتاوى الفقهاء غير الأحياء فهذا الأمر وإن لم يكن موضعاً لابتلائهم بصورة موسعة في العصر الإسلامي الأول، إلاّ أنه لما كان من المتوقّع أن يتسع الابتلاء به مستقبلاً حيث تتوفّر وسائل الضبط والتحرير مما يسهل معه الاطلاع على فتاوى الماضين، ومن الطبيعي عندئذٍ اتساع الرجوع إليها جرياً على المنهج العقلائي في الرجوع إلى آراء أهل الخبرة بلا فرق بين الحي منهم والميت فلا بدّ للشارع المقدّس العالم بما سيقع أن يتخذ الإجراءات الكفيلة ببلوغ الردع عن ذلك إلى أسماع الأجيال القادمة تحفّظاً على ملاكات أحكامه، وحيث أنه لم يبلغ إلى أسماعنا

كشف ذلك عن موافقته على ما هو المناط في بناء العقلاء على رجوع الجاهل إلى العالم وهو كاشفيّته النوعيّة عن الواقع بلا فرق بين كون العالم حياً أو ميتاً.

و(الجواب عنه):

أولاً: بالنقض بالسير العقلائية المستحدثة، كما في مجال الحقوق الفكرية كحقّ الاختراع والتأليف والطبع ونحوها، فإنه لو تمّ البيان المتقدّم لجرى نظيره فيها أيضاً، فيقال أن الشارع المقدس لمّا كان يعلم بأنه سيتجدد للعقلاء سِيَرٌ لها مساس بالأحكام الشرعية فإن كان فيها ما لا يرتضيه للزمه اتخاذ الإجراء الكفيل ببلوغ الردع عنها إلى المعاصرين لتلك السِيَر وحيث لم يبلغهم ذلك كشف عن موافقته عليها.

وعلى ذلك يسقط ما اعتبره الأصوليون في حجّية السيرة العقلائية من كونها معاصرة للمعصومين عليهم السلام، على أساس أنها لو لم تكن كذلك لما أمكن استكشاف إمضائها بعدم الردع، بل تصبح كلّ سيرة عقلائية قديمة أو مستحدثة حجة ما لم يثبت الردع عنها، بل لو صحّ ما ذُكر من الكلام لاقتضى تصدّي الشارع المقدس لإبلاغ الأجيال المتأخّرة من الأمة بأحكام المسائل المستحدثة لهم وهي كثيرة تحفّظاً على الملاكات الكامنة في متعلّقاتها.

وثانياً: بالحلّ، وهو أن الملاكات الكامنة في متعلّقات الأحكام الشرعية على درجات متفاوتة من الأهمية ويختلف بحسب ذلك درجة ما تستدعيه من الاهتمام بتبليغها إلى المكلّفين.

والأحكام المتعلّقة بالمسائل المستحدثة ونحوها في عصر الغيبة على قسمين:

أ ـ ما يفي بإثباتها العمومات والإطلاقات وما يشبهها مما تكون في متناول أيدي فقهاء عصر الغيبة، ومن الواضح أنه لا حاجة في هذا القسم إلى تسبب الشارع في إبلاغها بعناوينها الخاصة.

ب ـ ما لا تفي العمومات ونحوها بإثباتها، وفي هذا القسم لا يلزم الشارع المقدّس اتخاذ الإجراءات الكفيلة بإبلاغها إلى المكلّفين إلاّ إذا كانت الملاكات القائمة بمتعلّقاتها بمثابةٍ من الأهمية تستدعي ذلك.

وفي ضوء ذلك ففي المسائل المستحدثة في عصر الغيبة وما يشبهها كمسألة الرجوع إلى فتاوى الفقهاء المتوفّين ابتداءً إذا لم يصل الردع عمّا استجدّ بناء العقلاء عليه من قِبل الشارع المقدّس يجوز أن يكون الوجه فيه اعتماد الشارع المقدّس في إفادة حكمه المخالف للبناء المستجد على ما تقتضيه العمومات والإطلاقات وما بحكمهما، ويمكن أن يكون من جهة عدم كون الملاك الكامن في الحكم بمرتبة من الأهمية تقتضي التسبّب في إيصاله إلى المكلّفين بأيّ نحوٍ كان.

وعلى هذا فلا يمكن التأكّد من موافقة الشارع المقدس لما هو مقتضى البناء العقلائي غير المعاصر للمعصومين عليهم السلام.

فتحصّل مما تقدّم أن الاستدلال بالسيرة على جواز الأخذ ابتداءً بفتاوى الفقهاء المتوفّين في غير محلّه سواء أُريد بالسيرة المتشرعية منها أو العقلائية.

أما المتشرعية فلأنه لم يثبت رجوع المتشرّعة المعاصرين للأئمة عليهم السلام إلى فتاوى غير الأحياء ابتداءً بنحوٍ يمكن إحراز استناده إليهم عليهم السلام.

وأما العقلائية فلأنها لا تنهض حجّة على موافقة الشارع المقدس على النكتة التي بنى عليها العقلاء، بل على خصوص ما صدر منهم من الجري العملي الممتد إلى الأمور الشرعية في عصر المعصومين عليهم السلام بضميمة عدم الردع عنه.

فالنتيجة: إنه لا دلالة في السيرة على جواز تقليد المتوفّى ابتداءً، وحيث أنه لا دليل آخر على جوازه فمقتضى أصالة عدم الحجّية هو عدم الاجتزاء به.

فالصحيح وفاقاً لجمهور المحقّقين عدم جواز تقليد الميت ابتداءً والله العالم.

مقتبس من كتاب بحوث فقهية لآية الله السيد محمد رضا السيستاني (دام ظله): ٣٤٥-٣٥١.

استفتاءات فقهية

وفق رأي المرجع الأعلى سماحة السيد علي السيستاني (دام ظله الوارف)

السؤال: ما حكم الاستماع إلى المدائح التي تكون بطور بعض الأغاني، علماً بأنّها تؤدّى بنفس الأسلوب والأداء تماماً والاختلاف بينهما في الكلمات فقط؟

الجواب: إذا كان الأداء بطورٍ متداول في مجالس اللهو واللعب فلا يجوز على الأحوط وجوباً.

السؤال: ما حكم استعمال الطبل والبوق ونحوهما من الآلات في مواكب العزاء؟

الجواب: لا مانع من استخدامها في مواكب العزاء ونحوها على الطريقة المتعارفة مع كونها من الآلات المشتركة وليست من آلات اللهو المحرم.

السؤال: يقام العزاء الحسيني في منطقتنا على طريقة العزاء البحريني، بمعنى احتواء العزاء على أطوار أو ألحان مختلفة ولربما شابه أحد هذه الألحان الغناء المتعارف في مجالس اللهو أو في غيرها فهل يجوز استعمال هذه الألحان والأطوار في العزاء الحسيني؟

الجواب: إذا لم يعلم بكون تلكم الألحان من الألحان المتعارفة عند أهل اللهو واللعب جاز استخدامها في قراءة التعزية، وإذا علم ذلك لم يجز.

السؤال: ما هو رأيكم حول مواكب العزاء الحسيني التي أخذت جانب التطرُّف بعيداً عن أهداف الثورة الحسينية؟

الجواب: لا ينبغي التخطي عن الطريقة المتوارثة من السلف الصالح في إقامة عزاء سيد الشهداء أرواحنا فداه.

السؤال: هل يجوز سماع مدّاح يقرأ على شكل موسيقى للنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ؟

الجواب: يجوز إن لم يكن الأداء بطور متداول في مجالس اللهو وللعب.

السؤال: هل استخدام الطبل حرام في جميع المجالات؟ وإذا كان حراماً فإنّنا نستمع إلى بعض الأناشيد الإسلاميّة أو بعض الموسيقى الكلاسيكيّة التي تحتوي الضرب على الطبل، فهل يجوز الاستماع إليها أم لا؟

الجواب: الضرب على الطبل في مواكب العزاء والمراسم العسكريّة ونحوها لا بأس به، كما أنّ الاستماع إلى الصوت المنبعث عنه جائز إلّا ما كان مناسباً لمجالس اللهو واللعب.

السؤال: هل يجوز الاستماع أو التغنّي بذكر أهل البيت ولكن باستعمال آلات الطرب سواء في الأعراس أو غيرها؟

الجواب: الغناء حرام ومثله قراءة مدائح أهل البيت عليهم السلام بالألحان الغنائيّة، ويحرم في الموسيقى ما يكون مناسباً لمجالس اللهو واللعب.


یا حسین

مع الحـــق

- مفهوم الوراثة في زيارة وارث وأهميتها العقدية والتأريخية

د. غفران محمد صيهود
جامعة الكوفة /كلية الآداب

- كشف الارتياب عن حكم لثم الأعتاب

الشيخ نهاد الفياض
الحوزة العلمية/ النجف الأشرف


السلام عليك
يا وارث إبراهيم خليل الله
الشرفاوي

مفهوم الوراثة في زيارة وارث وأهميتها العقدية والتأريخية

د. غفران محمد صيهود
جامعة الكوفة /كلية الآداب

تعد زيارة وارث من أهم الزيارات السبعة المخصوصة بالإمام الحسين بن علي عليه السلام، وهي تحمل عدة أبعاد إصلاحية اجتماعية سياسية، تمس حياة المجتمع الشيعي وتأثيره في المجتمعات الإسلامية بوجه عام؛ لأن الإمام الحسين عليه السلام يمثل رمزًا من رموز العدالة والتضحية، فأسهمت زيارة وارث في تكوين هوية اجتماعية وثقافية قوية، كما جاء في النصوص الدينية من الزيارات والأحاديث أن سيد الشهداء هو وارث للأنبياء والأولياء عليهم السلام، ولهذه الوراثة معنى جامع لكثير من المعاني والحقائق ذات البعد العرفاني والاجتماعي والسياسي وغيرها، وحظيت بالعديد من الدراسات المعرفية والعلمية، بأخذ أبعادها الدينية والروحية، لما لها من تأثير على المجتمع الإسلامي والتأكيد على أنه سليل النبوة والشهادة والتضحية في سبيل إعلاء شهادة أن لا إله إلا الله، وقد تعددت النصوص الواردة في شأنه؛ لأنها تتميز بطابعها الخاص، إذ تربط الإمام الحسين عليه السلام بسلسلة من الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وتُقدمه بوصفه الوريث الشرعي لخط النبوة والإمامة، إن دراسة هذه الزيارة تقتضي النظر في نصها وسياقها وأهميتها العقدية والتأريخية.

مفهوم الوراثة لغة واصطلاحًا:

الوراثة أصلها: ورث والواو والراء والثاء كلمةٌ واحدةٌ هي الورث، وهو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب، قيل في الصحاح: الميراث أصله موراثٌ انقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبله[1]، أما المعنى الاصطلاحي فهو حوز الإنسان ما كان يملكه آخر بعد موت هذا الآخر، بهذا يظهر أن المعنى الاصطلاحي توضيح للمعنى اللغوي وتفصيل له[2]، وحرصت الشريعة الإسلامية على حفظ حق الورثة في مال قريبهم قبل موته إذا مرض مرضًا يسلمه إلى الموت، منعته من التصرف في ماله بما يضر بورثته أو يضيع حقوقهم في ماله بعد أن تركت له الحرية المطلقة في التصرف في ثلث هذا المال، وقد وردت مادة ورث في القرآن الكريم (٣٥) مرة ، أما الموروث الشرعي فيعني هو الباقي، وهذا المعنى لا يؤخذ فيه من حيث أصله ومفهومه، وكذلك يكون توريث العلم أيضًا توريثًا حقيقيًّا بمعنى: أنه لا يكون مجازًا؛ لما مرّ من أنه لا يدخل في حدّ وتعريف الإرث إلا الانتقال أو الابقاء، وعليه تتعدّد كيفية التوريث بتعدّد متعلّقات الإرث[3].

مفهوم الوراثة الدينية والشرعية في زيارة وارث:

إنّ الله سبحانه وتعالى هو الوارث الحقيقي في جميع الأمور، إذ كل شيء إليه بحسب ما ثبت في

الحكمة الإلهية والنقل الحكيم، ونستدل بذلك من قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**﴾[**الحجر: ٢٣**]، إلا أن زيارة وارث نص مروي عن الإمام الصادق عليه السلام ويُستحب قراءته عند قبر الإمام الحسين عليه السلام ، وقد سُمّيت بـ(زيارة وارث)؛ لافتتاحها بالنص (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله...)، والتي تتكرر مع أسماء عدد من الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، ما يمثّل مضمونها القائم على بيان وراثة الإمام الحسين عليه السلام لجميع مقامات الأنبياء عليهم السلام السابقين، وقد وردت في عدد من المصادر الحديثية والفقهية المعتبرة، منها الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد ضمن زيارات يوم عاشوراء، وابن قولويه في كامل الزيارات في باب زيارة الحسين عليه السلام من بعيد أو قريب، والشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان، اعتمادًا على النصوص المأثورة، وهي مروية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام .

وقد تميزت الزيارة ببنية لغوية تقوم على التحية بالسلام، وهي صيغة قرآنية للتكريم كما في قوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**﴾ [**الصافات: ٧٩**]، والنداء بـ (يا) هو أسلوب إبراز وإظهار المودّة والتكرار المقصود لعبارة (يا وارث) لتأكيد استمرارية خط النبوة في الإمام الحسين عليه السلام ، ليرث عن الأنبياء الصفات الدينية والروحية فمُنِحَ العلم الذي منحَهُ اللهُ تعالى للأنبياء وأنزله من لدنه عليهم، فجاء في نص الزيارة أنه ورث من آدم ونوح وموسى وعيسى عليهم السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ، وقد أفاض الله سبحانه وتعالى على سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام من عنده ميراثا روحيا دينيا[٤]، كما جاءت في الزيارة كمالاتِ الأنبياء وملكاتِهم ومكارم أخلاقهم بأبعاد دينية واجتماعية مختلفة، فكانوا حُججًا لله تعالى على خلقه والأدلاءَ عليه وعلى شريعته، كذلك هو كان حجَّةَ الله على جميع خلقه والدليلَ على دينه وشريعته[٥].

إن ما ورد في الزيارة المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام قولهم: ((السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين))، فهو وارثهم؛ لأنَّه امتدادٌ لهم في حمل أعباء الرسالة، وامتدادٌ لهم في كمالاتهم ومكارم أخلاقهم، وامتدادٌ لهم في كونه إمامًا للخلق، كما كانوا أئمةً للخلق يُقتدى بهم، ويحتذى بسجاياهم وأفعالهم وأقوالهم، هذا هو أحدُ معاني ما ورد من أنَّ الله تعالى منحَه هذه المكانة الدينية بمفهومها الإصلاحي والاجتماعي، فإنَّ من معاني قوله عليه السلام : ((وَاَعْطَيْتَ مَواريثَ الأنْبياءِ))، وروِيَ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنَّه قال: ((إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله سُنَنَ النَّبِيِّينَ مِنْ آدَمَ، قِيلَ لَه: ومَا تِلْكَ السُّنَنُ؟ قَالَ: عِلْمُ النَّبِيِّينَ بِأَسْرِه، وإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله صَيَّرَ ذَلِكَ كُلَّه عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام))، وروي عن أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام أَنَّه قال: ((إِنَّ سُلَيْمَانَ وَرِثَ دَاوُدَ وإِنَّ مُحَمَّدًا وَرِثَ سُلَيْمَانَ، وإِنَّا وَرِثْنَا مُحَمَّدًا وإِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ والزَّبُورِ وتِبْيَانَ مَا فِي الأَلْوَاحِ))[٦].

مفهوم الوراثة في زيارة وارث من النبوة إلى الإمامة:

تعد زيارة وارث من أشهر الزيارات المخصوصة، التي يزار بها الإمام الحسين عليه السلام ، وقد وردت عن الإمام الصادق عليه السلام ، رواها ابن قولويه (ت:٣٦٨هـ) في كتابه كامل الزيارات.

إن من شروط الوراثة تحقق قابلية الوريث للإرث، سواء كان في التكوين أم التشريع، فالنسب أو السبب الشرعي متى ما تحقّقا تحقّق معهما مقتضى الوراثة الشرعية بين الابن وأبيه، وكذلك في أمر التكوين[٧].

وقد ورد في متن الزيارة ((السلام عليك يا وارث أدم صفوة الله)) أي: أن الإمام الحسين عليه السلام ورث عن نبي الله آدم عليه السلام خصوصيته الرسالية التي ميّزه الله بها، وتتمثل بتسع حجج من ذريته، وورث عنه أصل الخلقة الطاهرة ومقام النيابة عن الله تعالى في الأرض ومبدأ الخلافة الإلهية التي أُسندت لآدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[**البقرة: ٣٠**]، هذا وجاء في نص الزيارة أيضًا: ((السلام عليك يا وارث نوح نبي الله)) فإن خصوصية نبي الله نوح عليه السلام تتمثل بكونه ثالث نبي في سلسلة أوصياء جده إدريس، وهذه الخصوصية نفسها للحسين عليه السلام بكونه ثالث إمام هدى معصوم، وبذلك يكون الحسين عليه السلام وارثًا لصفة نوح عليه السلام المميزة له بالتماثل وصار سيد الشهداء يختص بخصوصيته في الصبر الطويل في مواجهة الباطل، إذ ثبت في كربلاء رغم الحصار والخذلان، كما ورث عزيمة الإنقاذ، فنوح عليه السلام أنقذ البشرية من الطوفان المادي، والحسين عليه السلام أنقذ الإسلام من الطوفان الأموي[٨].

وفي قوله عليه السلام: ((السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله)) فإن خصوصية إبراهيم عليه السلام تتمثل بكونه قد نهض بتحطيمه أصنام نمرود، وهذه الخصوصية نفسها للحسين عليه السلام بكونه قد نهض؛ ليحرر العقل المسلم من أكاذيب معاوية فيه وفي أسلافه برفضه بيعة يزيد وقتاله جيشه، ولم يخرج على معاوية في زمانه؛ ليفهم المسلمين أن مسؤولية ظلامته برقبة معاوية لأنه سلط يزيد على الأمّة، في ضوء ذلك يكون سيد الشهداء وارثًا لصفة نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام المميزة له، ولم يكن إبراهيم الخليل عليه السلام قد تصرف من تلقاء نفسه في تحطيمه الأصنام، وكذلك الحسين عليه السلام لم ينهض من تلقاء نفسه في قتال جيش يزيد، بل كان بتكليف إلهي، وصار بتماثل صفاته حكمة إلهية، ميزته عن سائر الخلق بعد أهل بيته، وورث الإيمان المطلق والتضحية، فقد ضحّى إبراهيم عليه السلام بابنه في سبيل الله تعالى، وقدم الحسين للموت نفسه وأهل بيته في كربلاء.

وقال عليه السلام: ((السلام عليك يا وارث موسى كليم الله))؛ إذ إن خصوصية موسى عليه السلام تتمثل بكونه نهض ليصحح انقلابًا فرعونيًا، ثم قاتل بأهل بيته وأصحابه جيش السامري، ونسف بعصاه عجل بني إسرائيل، وفتح باب اللعنة على السامري نفسه، وهذه الخصوصية نفسها للحسين عليه السلام بكونه نهض ليصحح انقلابًا أمويًا حرّف دين محمد صلى الله عليه وآله، والذي أظهره علي عليه السلام في العراق فقاتل مع أهل بيته وأصحابه جيش معاوية، في ضوء ذلك يكون الحسين عليه السلام وارثًا لصفة موسى عليه السلام المميزة له في حركة الأنبياء، إذ لم تكن نهضة موسى عليه السلام بوجه فرعون رأيا ارتآه، وإنما نهض بأمر إلهي، وكذلك الحسين عليه السلام نهض لنصرة دين جده ونصرة المظلوم وإصلاح المجتمع من بطش بني أمية .

وقد جاء في نص الزيارة: ((السلام عليك يا وارث عيسى روح الله))، لما بعث الله تعالى عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل وكذبوه في آخر الأمر وجّه نداءه إلى الحواريين، وهم أخص أصحابه، فهم بقايا أصحاب جده عمران وزكريا ويحيى، فاستجابوا له واستشهدوا بعده، وفتح الله تعالى بهم الطريق إليه، ونصرهم على عدوهم وأصبحوا ظاهرين، وذلك بعد سبعين سنة من رفع المسيح عليه السلام، كذلك وجّه الحسين عليه السلام نداءه باختلاف المكان والزمان إلى أصحاب أبيه وأخيه وجدّه؛ يريد قيامًا لله تعالى، فاستجاب له ثلة طيبة واستشهدوا معه، وبعده فتح الله تعالى بهم الطريق إليه حين تفهّمت الأمّة أن طاعة بني أمية ليست من الدين في شيء، ثم نصرهم على عدوهم، وسلّط على بني أمية بني العباس، وبذلك يكون وارثًا لنهضة عيسى عليه السلام تكوينيًا وشبيهًا له

في حركته مع الحواريين وشهادتهم وانتصار خطهم .

وجاء في نص الزيارة أيضًا: ((السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله))، إذ تميّز خاتم الأنبياء محمد ﷺ بهذه الصفة، إذ بُعث في مجتمع فاسد عقديًا وسلوكيًا، كذلك وراثة النسب، فالحسين عليه السلام سبط النبي ﷺ من ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، وهذا نسب طاهر نصّ عليه حديث الكساء، وورث الرسالة، فالإمام يمثّل الامتداد الشرعي لحفظ الرسالة بعد رحيل جده وأبيه وأخيه، وورث الخُلق المحمدي فكان أشبه الناس بجده في هيأته وأخلاقه، فالحسين عليه السلام أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس[٩]، إنّ هذه الخصوصية بتفاصيلها جعلها الله تعالى للحسين عليه السلام، فقد نهض في واقع فاسد عقديًا وسلوكيًا، تمثل بانقلاب بني أمية فحرّفوا دين محمد ﷺ في الشام وفي غيرها، وانتحلوا الخلافة التي جعلها الله لأهل بيت محمد ﷺ، وأُطّرت تلك الخلافة بلعن علي عليه السلام والبراءة منه، فاستهدفت نهضة الحسين عليه السلام تهديم سلطة بني أمية، وتشييد إمامة أهل بيت النبي ﷺ وأمير المؤمنين علي عليه السلام من جديد بنشر أحاديث النبي ﷺ التي تؤسس لهم الإمامة الدينية[١٠].

وورد في نص الزيارة))السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين((ورث الحسين عليه السلام الإمامة بعد أخيه الحسن، وهي امتداد لإمامة أبيه، وورث شجاعته في القتال وحكمته في السياسة وزهده في الدنيا، وورث مسؤوليته في حفظ الدين، كما حفظ علي عليه السلام الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ .

مكانة الحسين عليه السلام في تاريخ الأديان

إن الحسين عليه السلام مُنِحَ العلم الذي منحَهُ اللهُ تعالى للأنبياء، وأنزله من لدنه عليهم، من خلال محور التطابق السلوكي لنصوص الزيارة، والتعريف بحقيقة الإمام الحسين عليه السلام، بنسبه ومكانته في تاريخ الأديان بذكر صلته بالأنبياء، من أولي العزم وصلته بنبي هذه الأمّة محمد بن عبد الله (عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام)، وصلته بالمحور العقدي هو تقديم الثوابت في الشهادة للإمام الحسين عليه السلام، بحسب مقتضى ما تنطوي عليه متبنيات الشخص في عقيدته وبناء ذاته، وفي إطار هذا المضمون تحدث عملية التطابق السلوكي أو التقاطع مع مضمونه، ومن هنا يبدأ مطلوب التطابق السلوكي في تحقيق هذا العهد بالزيارة بين الإنسان المؤمن وإمامه، بما هو جملة من المبادئ.

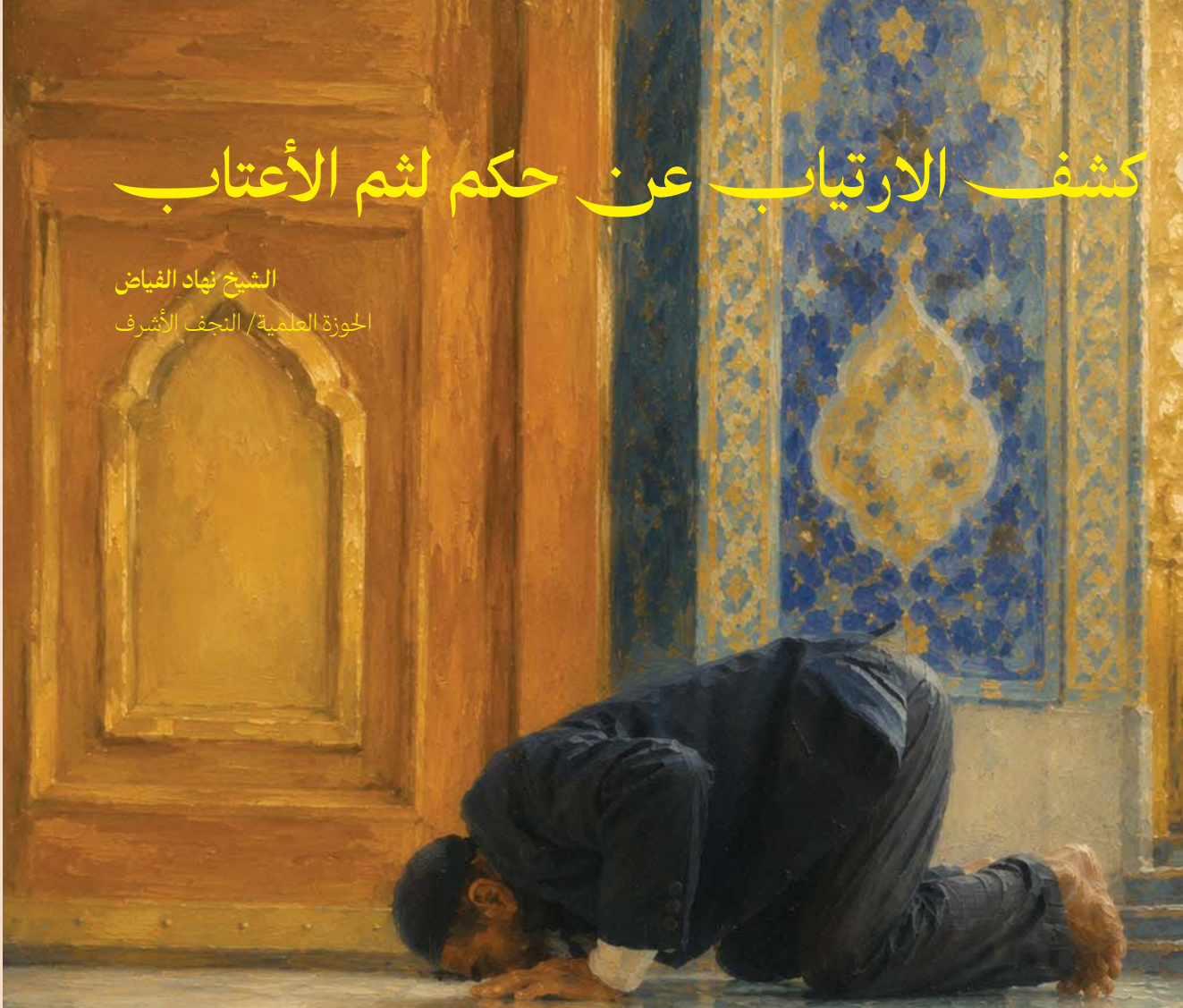
إنّ زيارة وارث هي تأكيد لحركة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته، التي تشكل حادثًا تاريخيًا مهمًا جدًا في مسيرة الأديان، والتي تمثّل أبعادًا إصلاحية واجتماعية عميقة، تلقي بظلالها على هوية المجتمع الشيعي وتطوره عن طريق إثراء القيم الإنسانية وتعزيز الروابط الاجتماعية؛ لتؤدي دورًا أساسيًا في تعزيز الوحدة والاندماج الاجتماعي، وتمثل رمزًا للتضحية والكرامة، مما يجعلها تجربة غنية بالمعاني الاجتماعية والدينية للأفراد والمجتمعات، فسيد الشهداء هو الوارث، وهذه الوراثة ظهرت يوم عاشوراء بأعظم مظاهرها، إذ تجلّت على يديه في نهضته وجهاده بروز المقام الأعظم للإنسان الكامل، الذي هو خليفة الله ووارث أمر إرجاع الخلق إليه، فكان جذب الخلق إلى الحق على يديه في عاشوراء، وما بعدها منطلقًا من إحياء أمر القيم، والشرع الذي هو زاد الرجوعِ بأبرز مظهر.

---

١. ابن فارس، معجم مقايس اللغة: ٦/ ١٠٥.
٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٧/ ١٢٠.
٣. سامي البدري، زيارة وارث تؤسس المقارنة بين الحسين عليه السلام والأنبياء: ١١-١٢.
٤. المصدر نفسه: ٣.
٥. الطوسي، مصباح المتهجد: ١/ ٧٨٨ .
٦. المازندراني، شرح أصول الكافي: ١/ ٢٢٢.
٧. الطوسي، مصباح المتهجد: ٧١٧.
٨. سامي البدري، زيارة وارث :١٢-١٣.
٩. ظ: الكليني، الكافي: ٦/ ٣٢.
١٠. الكاشاني، جنة الحوادث في شرح زيارة وارث: ٦١-٧١.

كشف الارتياب عن حكم لثم الأعتاب

الشيخ نهاد الفياض
الحوزة العلمية/ النجف الأشرف



لا شكَّ ولا ريب في جواز تقبيل الأبواب والشبابيك في الأضرحة المقدَّسة، بل هو من سنخ تقبيل المصحف الشريف وسائر الأشياء المقدَّسة، كالتربة الحسينيَّة، لما في ذلك من إظهار التعظيم والمودَّة لما عظَّمه الله تعالى. وإنَّما وقع الكلام والخلاف في مسألة الانحناء لتقبيل العتبات المقدَّسة، من حيث إيهامه السجود للأئمَّة عليهم السلام، ولذلك شكَّك بعضهم في مشروعيته وجوازه، غير أنَّ التحقيق يقتضي القول بالجواز، إذْ إنَّ الشيعة ـ أعزَّهم الله تعالى ـ لا يسجدون إلَّا لله تعالى، ولا يعبدون سواه، ولا يخطر ببالهم السجود لغيره، وإنَّما يُقبِّلون العتبات والأرضيات من حيث كونها أماكن شريفة ومقدَّسة ارتبطت بأولياء الله تعالى.

وعلى وفق ما تقدم، يكون الانحناء لأجل تقبيل هذه المواضع المقدَّسة كحال الانحناء لتقبيل المصحف الشريف تمامًا، من دون أنْ يحمل أية دلالة على العبادة أو السجود، بل هو تعبير عن الاحترام والتعظيم المشروعين، هذا مضافًا إلى أنَّ العرف والعقلاء يفرِّقون بوضوح بين السجود بقصد العبادة لله تعالى، وبين الانحناء بقصد التقبيل والتكريم.

ويُستدلُّ على جواز هذا الفعل ورجُحانه بجملة من الأدلَّة، نذكر قسمًا منها جلبًا للاختصار.

الدليل الأوَّل: القرآن الكريم

لا ريب في أنَّ الانحناء لتقبيل الأعتاب المقدَّسة يندرج ضمن مصاديق إظهار المحبَّة لأهل البيت عليهم السلام، التي نصَّ عليها القرآن الكريم صراحةً في قوله تعالى: ﴿**قُل لا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجرًا إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُربى**﴾ [**الشورى: ٢٣**]، إذ جعل الله تعالى مودَّتهم أجر الرسالة، وفرضها على جميع المسلمين بلا استثناء.

ومن المعلوم أنَّ المحبَّة القلبيَّة الصادقة لا تنفك عن مظاهر عمليَّة، تُعبِّر عنها وتترجمها إلى سلوك خارجي، إذْ إنَّ النفس البشرية جُبلت على إظهار التعظيم لمن تحبُّه وتجلُّه، ومن هنا كانت زيارة مراقدهم الشريفة، وتقبيل أضرحتهم، وشبابيك قبورهم، وأعتابهم المطهَّرة من أبرز صور تلك المودَّة المفروضة، لما تحمله هذه الأماكن من رمزيَّة روحيَّة واتصال معنوي بأصحابها عليهم السلام.

لذلك فإنَّ هذا السلوك لا يُعدُّ عبادةً لغير الله تعالى، ولا خروجًا عن التوحيد كما قلنا، بل هو تعبيرٌ عن الحب والولاء والتقديس لما قدَّسه الله تعالى ورسوله، وتعظيم لشعائر الله تعالى، ولذلك يكون الانحناء لتقبيل الأعتاب المقدَّسة مظهرًا من مظاهر المودَّة الصادقة لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ولونًا من ألوان تعظيم الشعائر الإلهية، بحسب ما هو واضح.

الدليل الثاني: الأخبار الشريفة

ورد في عددٍ من الروايات الشريفة ما يدلُّ على جواز تقبيل أرجل الأئمَّة عليهم السلام، أو تقبيل مواضع جلوسهم، مع إقرارهم عليهم السلام لذلك وعدم نهيهم عنه، وهو ما يكشف عن جواز هذا الفعل ورجحانه، وبذلك يُستفاد جواز تقبيل عتبات قبورهم الشريفة، إذ لا فرق في هذا الحكم بين حال حياتهم وبعد شهادتهم، عملًا بمقتضى كونهم شهداء عند الله تعالى يرزقون.

من تلك الأخبار:

١ـ ما رواه الشيخ الصدوق (طاب ثراه) بسندٍ معتبرٍ عن أبان بن عثمان، عن الصادق جعفر بن محمَّد عليه السلام قال: ((إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذات يوم لجابر بن عبد الله الأنصاري: يا جابر، إنك ستبقى حتَّى تلقى ولدي محمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف في التوراة بالباقر، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام ... إلى قوله: فقام جابر فوقع على قدميه يقبِّلهما ...))[1].

٢ـ ما رواه أيضًا (طاب ثراه) بسنده عن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي قال: حدَّثنا عمِّي قال: حدَّثنا جعفر بن محمَّد الصادق عليه السلام قال: ((كان علي بن الحسين عليه السلام لا يسافر إلَّا مع رفقةٍ لا يعرفونه، ويشترط عليهم أنْ يكون من خدم الرفقة فيما يحتاجون إليه، فسافر مرَّة مع قوم فرآه رجلٌ فعرفه، فقال لهم: أتدرون من هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا علي بن الحسين عليه السلام فوثبوا فقبَّلوا يده ورجله...))[2].

٣ـ ما رواه الشيخ الطوسي (طاب ثراه) بسنده عن محمَّد بن سالم قال: ((لما حُمل سيدي موسى بن جعفر عليه السلام إلى هارون، جاء إليه هشام بن إبراهيم العبَّاسي فقال له: يا سيدي، قد كتبت لي صكًّا إلى الفضل بن يونس، فسله أنْ يروِّج أمري، قال: فركب إليه أبو الحسن عليه السلام، فدخل إليه حاجبه، فقال: يا سيدي، أبو الحسن موسى عليه السلام بالباب، فقال: إنْ كنت صادقًا فأنت حرٌّ، ولك كذا وكذا، فخرج الفضل بن يونس حافيًا يعدو حتَّى خرج

إليه فوقع على قدميه يقبِّلهما ...))[٣].

٤ـ ما رواه أيضًا (طاب ثراه) بسنده عن الحسين بن زيد بن علي، عن أبي عبد الله جعفر بن محمَّد الصادق عليه السلام، وفيه: ((أخبرني أبي، عن أبيه علي بن الحسين عليهما السلام قال: كنتُ أمشي خلف عمِّي الحسن وأبي الحسين عليهما السلام في بعض طرقات المدينة في العام الذي قُبض فيه عمِّي الحسن عليه السلام، وأنا يومئذٍ غلام لم أراهق أو كدت، فلقيهما جابر بن عبد الله وأنس بن مالك الأنصاريان في جماعة من قريش والأنصار، فما تمالك جابر بن عبد الله حتَّى أكبَّ على أيديهما وأرجلهما يقبِّلهما، فقال رجلٌ من قريش كان نسيبًا لمروان: أتصنع هذا يا أبا عبد الله وأنت في سنك هذا، وموضعك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله؟! وكان جابر قد شهد بدرًا، فقال له: إليك عني، فلو علمتَ يا أخا قريش من فضلهما ومكانهما ما أعلم لقبَّلت ما تحت أقدامهما من التراب))[٤].

٥ـ ما رواه أيضًا (طاب ثراه) بسنده عن سُليمان بن جعفر، قال: قال لي علي بن عُبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: ((أشتهي أنْ أدخل على أبي الحسن الرضا عليه السلام أُسلِّم عليه، قلتُ: فما يمنعك من ذلك؟ قال: الإجلال والهيبة له وأتقي عليه. قال: فاعتلَّ أبو الحسن عليه السلام علَّة خفيفة وقد عاده الناس، فلقيتُ علي بن عُبيد الله، فقلت: قد جاءك ما تريد، قد اعتلَّ أبو الحسن عليه السلام علَّة خفيفة وقد عاده الناس، فإنْ أردت الدخول عليه فاليوم، قال: فجاء إلى أبي الحسن خعائدًا فلقيه أبو الحسن عليه السلام بكلِّ ما يحب من التكرمة والتعظيم، ففرح بذلك علي بن عُبيد الله فرحًا شديدًا، ثمَّ مرض علي بن عُبيد الله، فعاده أبو الحسن عليه السلام وأنا معه، فجلس حتَّى خرج من كان في البيت، فلما خرجنا أخبرتني مولاة لنا: أنَّ أم سلمة امرأة علي بن عُبيد الله كانت من وراء الستر تنظر إليه، فلما خرج خرجت وانكبَّت على الموضع الذي كان أبو الحسن خ فيه جالسًا تقبِّله وتتمسَّح به، قال سُليمان: ثمَّ دخلتُ على علي بن عُبيد الله، فأخبرني بما فعلت أم سلمة، فخبَّرتُ به أبا الحسن خ، فقال: يا سُليمان، إنَّ علي بن عُبيد الله وامرأته وولده من أهل الجنة، يا سُليمان، إنَّ ولد علي وفاطمة عليهما السلام إذا عرَّفهم الله هذا الأمر لم يكونوا كالناس))[٥].

هذا مضافًا إلى ما ورد في الأخبار الكثيرة الحاكية لانكباب الأئمَّة عليهم السلام على قبر النبي صلى الله عليه وآله وقبور من قبلهم من الأئمَّة عليهم السلام وأولادهم، وتقبيلهم إياه ومسح الخدَّين به، كما لا يخفى على منْ لحظ أخبار الزيارات، وفعلهم لا يكون إلَّا راجحًا، وعدم الفرق بين القبر والعتبة واضح، والمناط فيهما متحدٌ بلا شبهة[٦].

الدليل الثالث: أدب الاستئذان

ورد في جملة من آداب الاستئذان النص على تقبيل العتبة عند الأضرحة المقدَّسة والأماكن المشرَّفة، مما يعني جواز الانحناء لتقبيل تلك العتبات من دون محذور، نذكر ما عثرنا عليه، منها:

١ـ ما رواه الشهيد الأوَّل (طاب ثراه) عن المفضَّل بن عمر قال: ((جاز الصادق عليه السلام بالقائم المائل في طريق الغري فصلَّى ركعتين ... إلى قوله: يا مولاي، أتأذن لي بالدخول أفضل ما أذنت لأحدٍ من أوليائك، فإنْ لم أكن له أهلًا فأنت أهلٌ لذلك. ثمَّ قبِّل العتبة، وقدِّم رجلك اليمنى قبل اليسرى وادخل))[٧].

٢ـ ما رواه الكفعمي (طاب ثراه)، وفيه: ((فإذا أردت الدخول على النبي صلى الله عليه وآله أو أحد مشاهد الأئمَّة عليهم السلام فتقول: اللهم إني وقفتُ على باب من أبواب بيوت نبيك صلى الله عليه وآله، وقد منعت الناس أنْ يدخلوا إلَّا بإذنه فقلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾ [**الأحزاب: ٥٣**] ... إلى قوله: ثمَّ قبِّل العتبة وادخل))[٨].

٣ـ ما رواه المجلسي (طاب ثراه) في الاستئذان على السرداب المقدَّس والأئمَّة عليهم السلام، وفيه: ((اللهم إنَّ هذه بقعة طهَّرتها، وعقوة شرَّفتها، ومعالم زكيتها ...إلى

قوله: ثمَّ قبِّل العتبة، وادخل خاشعًا باكيًا، فإنه الإذن منهم صلوات الله عليهم أجمعين))[٩].

وتقريب الدلالة فيها: أنَّ لفظ (العتبة) في اللغة عبارة عن أُسكفَّة الباب، والأُسكفَّة هي عتبة الباب التي يُوطأ عليها، وعتبات الدرجة وما يشبهها من عتبات الجبال وأشراف الأرض، وكلُّ مرقاة من الدرج عتبة، والجميع العتب، وتقول: عتب لنا عتبة، أي: اتخذ عتبات أي: مرقيات[١٠].

وإليه يُشير قوله عليه السلام أيضًا: ((إذا كان المؤمن يحاسَب تنتظره أزواجه على عتبات الأبواب، كما ينتظرن أزواجهن في الدنيا من الغيبة عند العتبة، قال: فيجيء الرسول فيبشرهن فيقول: قد والله انقلب فلان من الحساب، قال: فيقلن: بالله؟ فيقول: قد والله لقد رأيته انقلب من الحساب. قال: فإذا جاءهن قلن مرحبًا وأهلًا، ما أهلك الذين كنت عندهم في الدنيا بأحق بك منا))[١١].

الدليل الرابع: سيرة المتشرِّعة

الظاهر من كلمات الفقيه الشيخ محمَّد بن مكِّي العاملي، المعروف بالشهيد الأوَّل (طاب ثراه)، أنَّ سيرة المتشرِّعة جرت على تقبيل العتبات المقدَّسة، وإنْ كان الأولى والأفضل أنْ يكون الانحناء والسجود لشكر الله تعالى على ما وفَّق إليه من شرف زيارة تلك البقاع المطهَّرة، قال (طاب ثراه): "ولا كراهة في تقبيل الضرائح، بل هو سنة عندنا، ولو كان هناك تقية فتركه أولى، وأمَّا تقبيل الأعتاب فلم نقف فيه على نص نعتدُّ به، ولكنْ عليه الإمامية، ولو سجد الزائر ونوى بالسجدة الشكر لله تعالى على بلوغه تلك البقعة كان أولى"[١٢].

وقال العلَّامة الأميني (طاب ثراه): "يُروى أنَّ شيخ الطائفة الأنصاري قيل له في تقبيل الأعتاب المقدَّسة فقال: إني أقبِّل عتبة مشهد أبي الفضل العبَّاس عليه السلام فضلًا عن أعتاب مشاهد الأئمَّة (صلوات الله عليهم) لا بما أنها عتبة مشهده عليه السلام، بل بما أنها موطئ أقدام زوَّاره، ولقد شُوهِد زعيم الشيعة آية الله ميرزا محمَّد تقي الشيرازي حين يقبِّل عتبة مشهد الحر بن يزيد الرياحي (رضوان الله عليه)، ولا شكَّ أنَّ سيرة الشيعة قائمةٌ على ذلك"[١٣].

وسُئل العلّامة الحلّي بما نصّه: "ما يقول سيدنا الإمام العلَّامة في وضع الإنسان وجهه على الأرض عند أبواب المشاهد الشريفة، وتمريغ خده عليها؟ هل يكون ذلك الفعل حرامًا؟ لأنَّ هذا يشبَّه بالسجود، وهذا أمر مختص بالله، وقد بالغ المتصوِّفون وأرباب الطريقة في النهي عن هذا وغيره مما يقاربه، فهل يكون مكروهًا أو هو مستحب في هذه الأماكن المشرَّفة، بيِّن لنا ذلك بيَّن الله لك الهدى وجنَّبك الردى.

الجواب عن ذلك: إنْ قَصَدَ الفاعل أنْ يكون السجود لغير الله تعالى كان عاصيًا، وإنْ قَصَدَ السجود لله تعالى والشكر على وصوله إلى تلك البقعة المباركة الشريفة والتذلُّل للإمام بالتقبيل لتربته كان مثابًا على ذلك"[١٤].

والنتيجة النهائية من جميع ذلك، أنَّ الانحناء لتقبيل العتبات المقدَّسة غير السجود لله تعالى، وهو أمرٌ راجح شرعًا.

---

١. الصدوق، الأمالي: ٤٣٤.
٢. الصدوق، عيون أخبار الرضا: ٢/ ١٥٦.
٣. الطوسي، اختيار معرفة الرجال: ٢/ ٧٩٠.
٤. الطوسي، الأمالي: ٤٩٩.
٥. اختيار معرفة الرجال: ٢/ ٨٥٦.
٦. ظ: المامقاني، إزاحة الوسوسة: ٦٢.
٧. الشهيد الأوَّل، المزار: ٣٢ـ ٣٩.
٨. الكفعمي، المصباح: ٤٧٢.
٩. المجلسي، بحار الأنوار: ٩٩/ ١١٥.
١٠. ظ: الفراهيدي، العين: ٢/ ٧٥؛ الأزهري، تهذيب اللغة: ١٠/ ٤٧.
١١. الكوفي، الزهد: ٩١.
١٢. الشهيد الأول، الدروس الشرعية: ٢/ ٢٤.
١٣. الأميني، أدب الزائر لمن يمَّم الحائر: ٤٨.
١٤. العلامة الحلي، أجوبة المسائل المهنائية: ٢٤.

بلسانٍ علويٍّ مُبين

- القيم الإسلامية في نهج الإمام علي عليه السلام

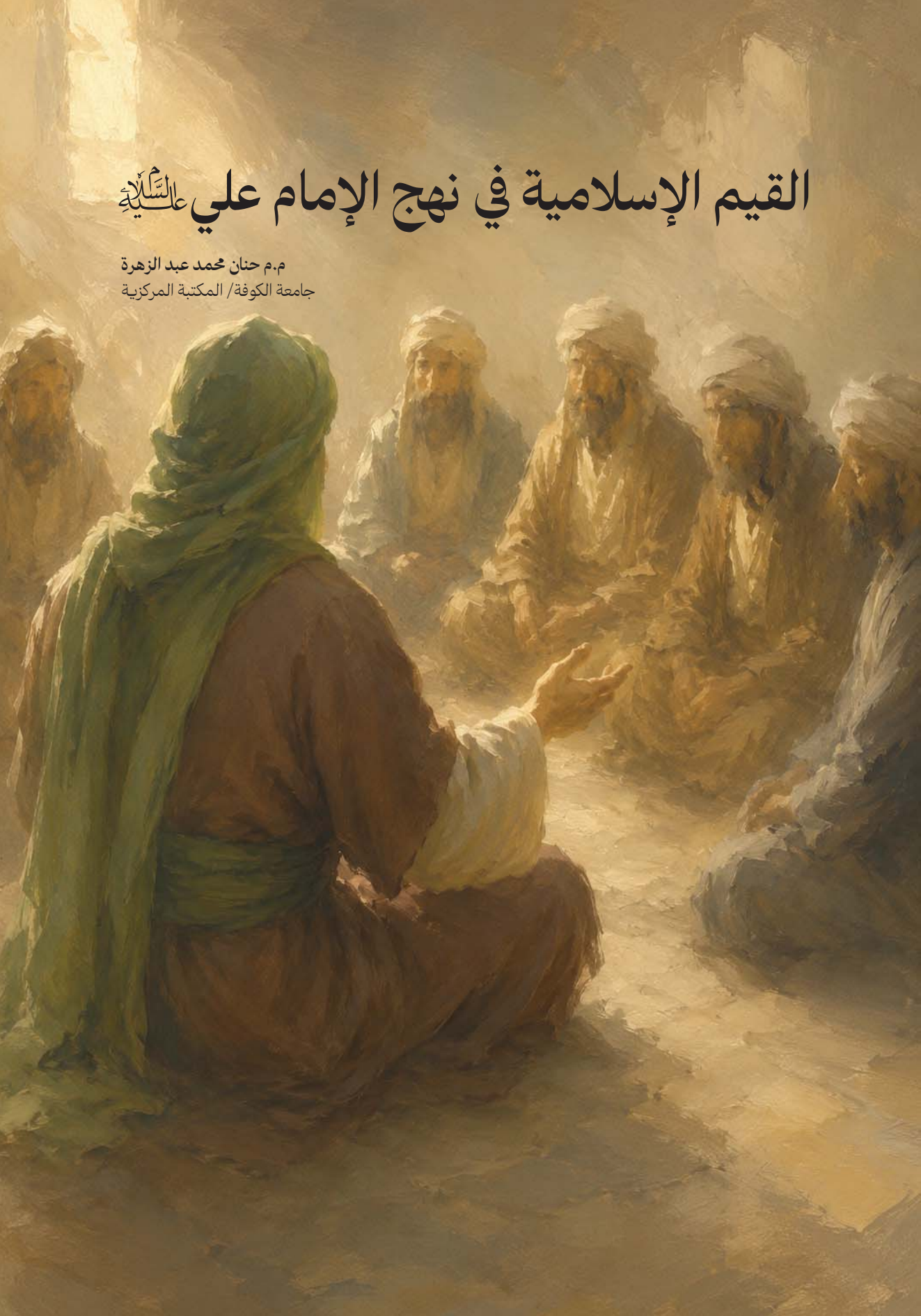
م.م حنان محمد عبد الزهرة
جامعة الكوفة/ المكتبة المركزية

- جدل السلطة والمعارضة في عهد الإمام علي عليه السلام من خطاب النهج إلى معركتي الجمل وصفّين

د. خديجة حسن علي القصير
جامعة الكوفة/ كلية الآداب

القيم الإسلامية في نهج الإمام علي عليه السلام

م.م حنان محمد عبد الزهرة
جامعة الكوفة/ المكتبة المركزية



عُرف الإمام علي عليه السلام في أثناء حكمه بحرصه على المبادئ والقواعد الأساسية للإسلام، إذ كان عليه السلام نفس ابن عمه الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، فقد ارتفع عن مستوى المصالح الشخصية والقضايا الضيقة خدمة للإسلام والمسلمين، وقد مثّل أمير المؤمنين عليه السلام أنموذج الحكم الإسلامي المثالي.

الأسس الأخلاقية في فكر الإمام علي عليه السلام:

العدالة بوصفها قيمة مركزية:

أولى الإمام علي عليه السلام العدالة عناية كبرى، لأثرها الكبير في فض النزاعات الإجتماعية وتحقيق العدالة بين الناس، والعدل غاية الأديان، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل؛ ومن ذلك قوله ﴿**إن الله يأمُرُ بالعَدلِ والإحسانِ وإيتآئِ ذي القربى**﴾(**النحل:٩٠**)، والعدل أصل من أصول الدين، وقد جسّد الإمام علي عليه السلام العدالة قولاً وعملاً، فأشعر رعيته الرحمة كل الرحمة، كما أكد عليه السلام أن يكون أمر الناس عند الولاة في الحق سواء[١]، وهذا ما نستخلصه من حديثه، الذي وجهه إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان، إذ قال عليه السلام: ((أما بعد فإن الوالي اذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء، فأنه ليس في الجور عوض من العدل))[٢].

كان أمير المؤمنين عليه السلام قدوة في إقامة العدل ، فقد ورد عن ابن بابويه في الأمالي، عن أبي حمزة الثمالي، عن الأصبغ بن نباتة، أنه قال: ((كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا جاءه المال، أدخله بيت مال المسلمين، ثم جمع المستحقين، وبسط يده في المال فنثره يمينًا وشمالًا، وهو يقول:"يا صفراء، يا بيضاء، لا تغريني، غري غيري" وكان لا يغادر بيت المال حتى يوزع ما فيه بالكامل، ويعطي كل ذي حق حقه، ثم يأمر بتنظيف المكان ورشه بالماء، ويصلي فيه ركعتين، ثم يقول بعد التسليم، معلنًا زهده: "اللهم إني طلقتها ثلاثًا، فلا رجعة لي فيها))[٣].

ومن أقواله عليه السلام في العدل:

((العدل قوام الرعية وجمال الولاة))[٤].

((العدل فضيلة السلطان))[٥].

((إنّ العدل ميزان الله سبحانه الذي وضعه في الخلق، ونصبه لإقامة الحق، فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه))[٦].

عدم المهادنة في التعامل:

اتبع الإمام علي عليه السلام أسلوب الأمانة والصدق في إدارة الأمور السياسية، فنجده عليه السلام لم يهادن أو يصالح الأشخاص الذين لم يكونوا يتحركون ضمن خطّه ومسيرته، ورفض الأهواء التي تعارض الحق والعدل، وهذا الأمر ميزه عليه السلام عن الحكام، الذين كانوا مستعدين للتحالف مع أي طرف لأجل مصالحهم[٧].

الزهد والتواضع في السلوك الشخصي:

قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه لمالك الاشتر: ((وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَو التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتَتْبَعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، يُوجِبُ الْمَقْتَ

عِنْدَ الله وَالنَّاسِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٨].

الرحمة والعفو حتى مع الخصوم:

يروي لنا التأريخ كيف كان يتصرف القادة الفاتحون مع خصومهم المهزومين، إذ غالبًا ما كانوا يتجاهلون الجوانب الأخلاقية في تعاملهم، فقد كانت أساليب الضرب، والقتل، والغارات، والمجازر الجماعية، من الوسائل الشائعة التي يلجؤون إليها لتحقيق السيطرة وترسيخ النصر[٩]، أما علي عليه السلام فقد التزم في تعامله مع أعدائه بأصول الإسلام وسننه، فعقب انتصاره في معركة الجمل، أعلن العفو العام عن أهل البصرة، من دون أن يتعقب الفارين أو يؤذيهم، محافظًا على أرواح المنهزمين وأموالهم، ومنع جنوده من التعرض لهم بأي شكل، في زمن كانت فيه الغنائم هدفًا لكثيرين بعد المعارك، إذ رفض الإمام علي عليه السلام ممارسات الاستيلاء على أموال الناس أو أسر النساء، مؤكدًا التزامه بالمبادئ الإسلامية في أرقى صورها[١٠].

علاقة الحاكم بالمحكوم:

أراد الإمام علي عليه السلام إنشاء دولة قائمة على المودة والمحبة، دولة غير مستبدة، لا تبنى سياستها على الإرهاب والقمع، فقد كان يرى أنّ أساس بناء المجتمع الصالح هو الإحسان إلى الرعية والإحسان أكبر من العدل[١١]، كما جاء في كتابه عليه السلام إلى مالك الاشتر: ((وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحمة للرعية والمحبة لهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ ! وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ، وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلَا تَقُولَنَّ : إِنِّي مُؤْمِرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ))[١٢].

الشورى ورفض الاستبداد:

وخير دليل على نظام الشورى هو الآيتان الكريمتان: الأولى: قوله تعالى:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: ١٥٩].

والثانية : قوله جل وعلا : ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾[الشورى: ٣٦- ٣٩].

وجاء في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام مشيراً لذلك بالقول: ((أيها الناس، إنّ أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فأن شغب شاغب استعتب فأن أبى قوتل، ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس فما إلى ذلك سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد أن يرجع، ولا للغائب أن يختار))[١٣].

مقارعة الفساد الإداري والمالي :

نظراً لما للسلطات من صلاحيات واسعة من حيث المال والقوة والأمر النافذ، فإن احتمالية اتباع الشهوات والرغبات النفسية أمر وارد جداً بحكم الطبيعة البشرية[١٤]، لذا نجد أن امير المؤمنين عليه السلام كان حريصاً على تنظيم الجانب الإداري والمالي بما ينفع المسلمين، والوقوف بالمرصاد لكل فساد إداري أو مالي من شأنه أن يمس الفرد والمجتمع على حد سواء، كما جاء في نص من عهده لمالك الأشتر: ((وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وصلاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلُّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ. وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ ؛ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا. فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً ، أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةٍ، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اعْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ ؛ وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمُؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ، وَتَزْيِينِ وِلَايَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ، بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ، وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ به ؛ فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ ما حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ))[١٥].

في ضوء ما تقدم، يتبين أن فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يشكل منظومة متكاملة في إدارة الدولة، تتسم بالرحمة في التعامل مع الرعية، والعدل في الحكم، والنزاهة في التصرف بالمال العام، والتوازن بين السلطة والرقابة الذاتية، وأنّ وصاياه لمالك الأشتر التي تمثل دستوراً أخلاقياً وسياسياً متقدماً، تمثّل فهماً عميقاً لطبيعة الإنسان ومجتمعه، وتؤكد أن ممارسة السلطة ليست امتيازاً بل تكليفٌ مشروطٌ بالمسؤولية والرعاية، كما أنّ استحضار قيم الشورى ورفض الاستبداد، ومقارعة الفساد الإداري والمالي؛ يرسخ مفهوم الحكم الصالح المبني على أسس العدالة الإجتماعية والتنمية المستدامة، بما يحقق الاستقرار ويضمن كرامة الإنسان، ومن ثم، فإن هذه المبادئ تمثّل مرجعية فكرية، يمكن الإفادة منها في بناء نماذج حوكمة رشيدة، تتجاوز حدود الزمان والمكان، وتظل صالحة للاستلهام في كل العصور.

---

١. سعيد جعفر كاظم، دولة الامام علي عليه السلام نظامها السياسي: ٦١.
٢. المجلسي، بحار الانوار: ٣٣/ ٥١١.
٣. الشريف الرضي، خصائص الائمة: ٧٩.
٤. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٣/ ١٨٣٨
٥. المصدر نفسه: ٣/ ١٨٣٩ .
٦. المصدر نفسه: ٣/ ١٨٣٨.
٧. مركز نون للتأليف والترجمة، بحوث في الحياة السياسية لأهل البيت عليهم السلام : ٤٨.
٨. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٧/ ١١٣.
٩. مجموعة الامام علي عليه السلام القدوة الحسنة، الاخلاق السياسية عند الامام علي عليه السلام : ١٥.
١٠. المصدر نفسه: ١٧.
١١. خمائل، الفكر الإداري للإمام علي عليه السلام في سياسة الدولة: ٢٥٠ .
١٢. نهج البلاغة: ٣/ ٨٤.
١٣. ابن ابي الجديد، شرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٣٨.
١٤. خمائل شاكر الجمالي، الفكر الإداري للإمام علي عليه السلام في سياسة الدولة: ٢٤٥.
١٥. نهج البلاغة: ٣/ ٩٦.



جدل السلطة والمعارضة في عهد الإمام علي عليه السلام من خطاب النهج إلى معركتي الجمل وصفّين

د. خديجة حسن علي القصير
جامعة الكوفة/ كلية الآداب

تُعدّ تجربة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الخلافة إحدى أكثر الحقب تأثيراً وإشكاليةً في تاريخ الإسلام المبكر، ليس بسبب موقعها الزمني في مراحل التشكّل السياسي فحسب، بل بسبب التحوّلات العميقة التي شهدتها بنية السلطة والمعارضة في المجتمع الإسلامي الناشئ، وقد انفتحت هذه الحقبة على جدلية مركبة بين الخطاب والقوة، بين الشرعية والفاعلية، وبين النص والممارسة، ما جعلها إطاراً ثرياً لإعادة التفكير في مفهوم المعارضة السياسية ضمن أنموذج الحكم الراشدي، وعند قراءة هذه التجربة في ضوء التراث الشيعي الحديث، تبرز أبعاد جديدة تُسهم في فهم طبيعة المعارضة ضد الإمام علي عليه السلام لا بوصفها حدثاً عسكرياً محضاً، بل بوصفها تحوّلاً في بنية الفعل السياسي لدى قوى اجتماعية متعددة، امتلكت خطاباً وحضوراً ومصالح متناقضة، وأثّرت في النهاية على مسار تشكّل السلطة في العالم الإسلامي.

وهذا يقودنا إلى القول: إنّ المعارضة ضد الإمام علي عليه السلام لم تكن معارضة عقدية في المقام الأول، بل كانت معارضة سياسية، ذات بنية اجتماعية واقتصادية، قبل أن تتطور إلى مسار عسكري، وأنّ خطاب الإمام علي عليه السلام كان يستند إلى شرعية النص والبيعة في مواجهة العرف والمصلحة، ونستطيع هنا أن نقسم المعارضة الحاصلة على عدة اقسام:

معارضة قبلية (قيس، تميم، ربيعة)

معارضة قريشية سياسية (طلحة والزبير)

معارضة مصلحية اقتصادية (أهل الديوان)

معارضة دينية نصوصية لاحقاً (الخوارج)[1].

منهجية الإمام علي عليه السلام:

كانت سياسة الإمام علي عليه السلام، التي نهجها طيلة مدة خلافته، قائمة على الحرية والتسامح وشعارها الأول هو (العدل، والحرية، والمساواة)، وفكره السياسي نابع من عمق فهمه لتعاليم القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، التي أخذها من منبعها الأصيل وهو الرسول محمد صلى الله عليه وآله، لذلك نجده يلتزم بهذه التعاليم التزاماً يفوق حكام الدول الإسلامية وساستها على مر العصور، وهو ما أوضحه في خطبه المشهورة إذ جاء في الخطبة الشقشقية وهو يصف بيعة المسلمين له بالخلافة إذ يقول: ((... فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعُرْفِ الضَّبُعِ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِب، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الغَنَمِ...))[2]، ومن كلام له في موضع آخر قوله عليه السلام: ((وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الإبل الْهِيم عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ، وَوُطِئَ الضَّعِيفُ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ))[3].

نستدل من كلامه عليه السلام أن بيعته كانت (بيعة عامة)، بايعه بها المهاجرون والأنصار من أهل الشورى وعامة المسلمين في المدينة المنورة، وهذا الأمر قد أكدته الكثير من المصادر التأريخية منها ما أورده الطبري[4]، ((... فقال الجمهور: علي بن أبي طالب نحن به راضون...))[5]، فقبول الجمهور أي (جمهور المهاجرين والأنصار) جعل بيعة الإمام علي عليه السلام بيعة عامة، وهذه البيعة ملزمة لكل الأمصار الإسلامية وهذا الإلزام في البيعة، حتمه بيعة أهل

الحل والعقد له بالخلافة، وقد أكد الإمام علي عليه السلام ذلك بقوله: ((وَلَعَمْرِي، لَئِنْ كَانَتِ الإمامة لاَ تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ، فـَمَا إِلَى ذلك سَبِيلٌ، وَلكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلاَ لِلغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ))[٦]، فمعنى كلامه عليه السلام هو التأكيد على مسألة مهمة وهو ((إن الإجماع لا يعتبر فيه دخول جميع الناس حتى العوام، إذ لو كان ذلك شرطاً لأدى إلى أن لا ينعقد إجماع قط، فلم تصح إمامة احد قط أبداً لتعذر اجتماع المسلمين بأسرهم من أطراف الأرض، بل المعتبر في الإجماع اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد صلى الله عليه وآله على بعض الأمور، وهم العلماء وقد كانوا بأسرهم مجتمعين حين بيعته عليه السلام فليس لأحد منهم بعد انعقادها أنّ يرجع، ولا لمن عداهم من العوام ومن غاب عنها أن يختاروا غير من اجمع هؤلاء عليه))[٧].

مارس الإمام علي عليه السلام نهجه السياسي وذلك بسماحه بحرية البيعة، وتأكيد ذلك في قوله: ((... ودعوت الناس إلى بيعتي فمن بايعني طائعاً قبلت منه، ومن أبى تركته...))[٨] وهذا هو جوهر النهج السياسي، وهو في صميم الديمقراطية السياسية، التي تتيح للجميع الحق في اختيار الشخص الذي يرونه مناسباً للمنصب السياسي بغض النظر عن شخصه.

ولقد ذكرت لنا المصادر التأريخية جملة من الروايات التي تدل على سماح الإمام علي عليه السلام بحرية البيعة له وعدم أخذها بالقوة والعنف من الذين رفضوا المبايعة، ففي رواية اليعقوبي: ((وبايع الناس إلا ثلاثة نفر من قريش: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة، وكان لسان القوم فقال يا هذا انك قد وترتنا جميعاً، أما أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر وكان أبوه من نور قريش، وأما مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمه إليه ...، فتبايعنا على أن تضع عنا ما أصبنا وتعفي لنا عما في أيدينا وتقتل قتلة صاحبنا، فغضب علي عليه السلام وقال: أما ما ذكرت من وتري أياكم فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق لله تعالى، وأما إعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم، وأما قتلي قتلة عثمان، فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً، ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله وسنَة نبيه، فمن ضاق عليه الحق فالباطل عليه أضيق ...))[٩].

وهذا يدل على أنّ ملامح النهج السياسي لأمير المؤمنين علي عليه السلام واضحة، إذ إن جميع من أبى بيعته عليه السلام إنما فعلوا ذلك لأسباب ولأطماع شخصية، فالإمام عليه السلام كان بنهجه السياسي يسير على وفق ما تمليه عليه أحكام كتاب الله تعالى وسنَة نبيه، ولم يأخذهم بالإكراه في البيعة، بل قال لهم (عليه السلام: "وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم"[١٠]، وشهادة مروان بن الحكم تؤكد أيضاً النهج السياسي لأمير المؤمنين عليه السلام مع رافضي بيعته، إذ أورد الدينوري: ((قال وذكروا أنّ مروان بن الحكم لما بويع عليٌّ هرب من المدينة، فلحق بعائشة بمكة فقالت له عائشة: ما وراءك؟ فقال مروان: غلبنا على أنفسنا، فقال له رجل من أهل مكة: إياك وعلياً فقد طلبك، ففر من بين يديه، فقال مروان: لم؟ فو الله ما يجد إلي سبيلاً، أما هو فقد علمت انه لا يأخذني بظن، ولا ينصب إلي إلا على اليقين ...))[١١].

ويتجلى مفهوم الإمام عليه السلام واضحاً حتى في معاملته للخارجين على نهجه السياسي، الذين أعلنوا الانشقاق عن الدولة وتجهزوا للحرب ضده، وهم طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعائشة وأتباعهم الذين خرجوا عليه في البصرة سنة ٣٦ هـ وقاتلوه في معركة الجمل، ومعاوية بن أبي سفيان في

الشام سنة ٣٧ هـ وقاتله في معركة صفين، والخوارج قرب الكوفة سنة ٣٩ هـ في معركة النهروان، وهذا التنوع والاختلاف نابع من كونهم من المسلمين، فنجد أن أمير المؤمنين عليه السلام قد حاول جهده إرجاعهم إلى الطريق الصحيح، ومنعهم من الفتنة التي تؤدي إلى القتل وسفك الدماء بين المسلمين . فكان يردد:((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الأمر أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ الله فِيهِ، فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ، فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ ...أَلاَ وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ، أُوصِيكُمْ بَتَقْوَى الله، فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الأمور عِنْدَ الله، وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلاَ يَحْمِلُ هذا الْعَلَمَ إِلاَّ أَهْلُ الْبَصَرِ والصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلاَ تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً ...))[١٢].

إذ يؤكد عليه السلام انه لن يقاتل إلا فئتين، وكنى عن ذلك بـ (الرجلين)، وذلك لان الذين يقاتلهم هم الرجال من دون غيرهم من فئات المجتمع، كالشيوخ والنساء والأطفال، وأن الذين يقاتلهم هما رجلان (رَجُلاً ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ)، فهو يشير إلى أنه يقاتل الأول؛ لأنه ((رجل خرج على الإمام العادل بعد تمام بيعته، وادعى أن الإمامة حق له وقد ثبت بالإجماع على غيره أنها ليست له، والثاني رجل خرج على الإمام ولم يمتثل له في شيء من الإحكام))[١٣].

استنتاجات مصيرية:

نستطيع ان نستخلص من ذلك بعض الأمور، في مقدمتها أن تجربة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الخلافة نتج عنها بروز معارضة سياسية مركّبة، لم تكن موحدة في الدافع أو البنية أو الأهداف، بل كانت متشابكة بين عوامل النفوذ القرشي والمصالح الاقتصادية والنزعة الدينية النصوصية التي ستتبلور لاحقاً، وقد تركزت النواة الأولى للمعارضة داخل الطبقة القرشية التي رأت في وصول الإمام علي عليه السلام إلى الحكم تغييراً في المعادلة السياسية المتوارثة منذ وفاة النبي صلى الله عليه وآله، كانت هذه الطبقة تنطلق من شرعية غير مكتوبة قوامها السبق والنفوذ، وهي شرعية ترسخت خلال عهدي عمر وعثمان عبر نظام الديوان والعطاء وما وفره من امتيازات، ولذلك لم يكن اعتراض هذه المعارضة على علي عليه السلام من حيث مكانته الدينية أو قربه من النبي عليه السلام، بل من حيث موقعه في معادلة السلطة، وهو ما يجعلها أقرب إلى معارضة نفوذ منها إلى معارضة عقيدة[١٤]، وقد برز طلحة والزبير في قيادة هذا الاتجاه، وكان الدافع وراء موقفهما خليطاً من الإقصاء السياسي وتقييد الامتياز المالي الذي فرضه الإمام عليه السلام عبر مبدأ المساواة في العطاء، هذا التحول ضرب قاعدة الامتيازات التي تشكلت خلال العقدين السابقين، وأعاد تعريف العلاقة بين السلطة والمال بطريقة كسرت الامتياز القرشي وتحديداً امتياز المتقدمين في الإسلام، وبذلك دخلت البنية القبلية والاقتصادية على خط المعارضة، إذ وجد زعماء قبائل وتجار وصنّاع نفوذ أنّ فقدان الامتياز المالي يعني فقدان الوزن السياسي، ما أسّس لمعارضة اقتصادية تحركها المصالح وتستند إلى شبكات الولاء، لا إلى منظومة فكرية متماسكة[١٥].

وفي مرحلة لاحقة ظهرت المعارضة الدينية النصوصية، التي لم تكن موجودة عند بداية خلافة

الإمام علي عليه السلام، بل تبلورت في سياق أحداث صفين وما أعقبها من التحكيم، وقد اعتمد هذا التيار على معيار صارم للشرعية عبر شعار "لا حكم إلا لله" الذي حول النص إلى سلطة فوق السلطة، ثم تطور لاحقاً إلى حركة سياسية مسلحة، وسيُعرف تاريخياً بالخوارج، وليس من الدقة اعتبار الخوارج امتداداً للمعارضة القرشية أو لاحتجاج المصالح القبلية؛ فخلفيتهم مختلفة، إذ إنهم لم يعارضوا علياً عليه السلام من أجل السلطة، بل من أجل ضبط شروطها وفق تصورهم للنص والشرع[١٦].

ثم سرعان ما تحولت المعارضة من مستوى الاحتجاج السياسي إلى مستوى الحرب، التي لم تحدث دفعة واحدة، بل مرّت بثلاث مراحل:

الأولى: هي مرحلة الخطاب، إذ تم اللجوء إلى الاحتجاج والكلام والتفاوض.

الثانية: هي مرحلة المفارقة والمقاطعة، إذ امتنعت قوى مؤثرة عن الاعتراف الكامل بسلطة الإمام علي عليه السلام.

أما الثالثة: فهي مرحلة الحشد والتجييش التي نقلت المعارضة إلى مستوى الفعل المسلح، وقد كان هذا المسار واضحاً في وقائع حرب الجمل سنة ٣٦ هـ التي شكلت أول مواجهة عسكرية بين الإمام علي عليه السلام ومعارضيه الكبار، ورغم أن السرديات السياسية المتأخرة ربطت الجمل بقضية دم عثمان، إلا أن الإمامية يرون أنها كانت محاولة لإعادة ترتيب السلطة، عبر فرض شروط سياسية على الإمام عليه السلام، من بينها تأجيل ممارسة السلطة الفعلية، حتى استكمال النظر في قضية عثمان على وفق رؤية معارضيه، وقد رفض الإمام علي عليه السلام هذه الصيغة؛ لأنها تعني تعليق شرعية البيعة على شرط خارجي، وهو ما اعتبره انقلاباً على قواعد النص والبيعة الشرعية[١٧].

أما في صفين فقد دخلت المعارضة في طور أكثر تنظيماً بقيادة معاوية، الذي امتلك مركزاً سياسياً مستقلاً في الشام ونظام ولاءات مستقر ورواية إعلامية قادرة على تعبئة الجماعة حول شعار الثأر لعثمان، واللافت أن صفين لم تكن محاولة إسقاط مباشر للسلطة، بل كانت حرب استنزاف تستهدف إضعاف شرعية الإمام علي عليه السلام، وتأجيل الحسم العسكري، عبر التحكيم الذي أنتج انشقاق الخوارج لاحقاً[١٨].

---

١. رسول جعفريان، تاريخ الخلفاء من منظور شيعي:١١٢.
٢. نهج البلاغة: ١/ ٣٩.
٣. المصدر نفسه: ٢/ ٣٨٠.
٤. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: ٤٣٣.
٥. المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق عفيف نايف:٢/ ١٩٦.
٦. نهج البلاغة: ٢/ ٢٧٣.
٧. ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة: ٣/ ٦٨٦.
٨. ابن طاووس، كشف المحجة لثمرة المهجة:٢٥٢.
٩. احمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، : ٢/ ١٢٣.
١٠. المصدر نفسه: ٢/ ١٢٤.
١١. أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، الإمامة: ١/ ٦٠.
١٢. نهج البلاغة: ٢/ ١٧٣.
١٣. المصدر نفسه.
١٤. رضا السيستاني، الدولة والمعارضة في الإسلام المبكر: ١٤٤.
١٥. رسول جعفريان، علي وبناء الدولة الإسلامية: ٢٣٣.
١٦. محمد جواد حيدر ، نظرية الخلافة في الفكر الشيعي، بيروت: ٢٠١.
١٧. باقر شريف القرشي، حياة الإمام علي دراسة تحليلية: ٥٥–٧٢.
١٨. كاظم الموسوي،. نشأة السلطة الأموية: ١٨٩.

الصراط المستقيم

- مدرسة الإمام علي عليه السلام
الأخلاق والاستراتيجية في إدارة الصراع

الباحث عبدالرزاق فرحان البهادلي
وزارة التر بية- مديرية تربية بغداد

- بين الفلسفة والرياضيات
استكشاف الفكر التحليلي للإمام
علي عليه السلام

د. زين العابدين الصافي
جامعة واسط



مدرسة الإمام علي عليه السلام
الأخلاق والاستراتيجية في إدارة الصراع

الباحث عبدالرزاق فرحان البهادلي
وزارة التربية- مديرية تربية بغداد

تُعد تجربة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنموذجاً تأسيسياً في تأريخ القيادة السياسية الإسلامية؛ لأنها تمثل لحظة التقاء دقيقة بين إدارة الدولة وإدارة الصراع الداخلي في آنٍ واحد، إذ تتداخل الشرعية السياسية مع الانقسام الاجتماعي والديني، وتتحول الخلافات إلى مواجهات تهدد وحدة المجتمع.
تكتسب هذه التجربة أهميتها من كونها لا تُقدَّم بوصفها سلسلة أحداث تأريخية فحسب، بل بوصفها منهجاً في الحكم وإدارة الأزمات يقوم على ثبات المبدأ الأخلاقي مع مرونة في أدوات التعامل مع الواقع السياسي.

القيادة الأخلاقية بوصفها إطاراً حاكماً للسلطة:
يقوم مفهوم القيادة في تجربة الإمام علي عليه السلام على أنّ استعمال القوة لا يكون مطلقاً، بل محكومٌ بمنظومة أخلاقية صارمة تحدد طبيعة الفعل السياسي والعسكري.
وتتمثل هذه المنظومة في الآتي:
- رفض الغدر في إدارة الصراع.
- ضبط استخدام القوة ضمن حدود الضرورة.
- صون كرامة الإنسان في مختلف حالات المواجهة.
وبذلك لا تكون الأخلاق عنصراً موازياً للقوة، بل إطارٌ حاكمٌ يسبقها ويضبطها، ويحدد مشروعيتها.

معركة الجمل – إدارة الصراع الداخلي وتقليل الكلفة الاجتماعية:
في معركة الجمل، واجه الإمام علي عليه السلام أول صراع داخلي واسع داخل المجتمع الإسلامي، إذ كان أطراف النزاع ينتمون إلى المنظومة نفسها، وقد تميزت إدارته للمعركة بجملة من المبادئ منها:
- منع ملاحقة الفارّين بعد انتهاء القتال.
- حماية الجرحى ومنع الاعتداء عليهم.
- صون الممتلكات العامة والخاصة
- تجنب استهداف الرموز بشكل مباشر
ويمثّل هذا النهج رؤية واضحة للحرب الداخلية، بوصفها أزمة اجتماعية، يجب ضبط آثارها، وليس مجرد مواجهة عسكرية هدفها الإبادة.

معركة صفين – التريث الاستراتيجي وإدارة التعقيد السياسي:
أما في معركة صفين، فقد انتقل الصراع إلى مستوى أكثر تعقيداً، إذ اختلطت الدوافع السياسية بالشعارات الدينية، واشتد الاستقطاب داخل الدولة، ويمكن فهم موقف الإمام علي عليه السلام عبر ثلاثة مستويات مترابطة:
- ثبات المبدأ: ظل عليه السلام ثابتاً على قناعته بالحق من دون تراجع في الجوهر.
- التريث الاستراتيجي: لم يكن تردداً، بل إدارة واعية للزمن السياسي، تهدف إلى منع تفكك المجتمع في لحظة التباس شديد.
- التحكيم كإجراء ظرفي: لم يكن تنازلاً عن المبدأ، بل محاولة لاحتواء الانقسام السياسي ومنع اتساع دائرة الصراع.

معركة النهروان – الحسم بعد اكتمال الحجة:
مثّل الخوارج في معركة النهروان حالة مختلفة، إذ تحول الخلاف معهم إلى صراع عقائدي مسلح يقوم على التكفير واستباحة الدماء، وقد سبق هذه المواجهة العسكرية عدة أمور:
- حوار طويل لإقامة الحجة.
- محاولات للإصلاح والمعالجة الفكرية.

– فتح باب الانسحاب الآمن لمن أراد ترك القتال.

وبعد اكتمال الحجة واستمرار التهديد الفعلي، جاء الحسم العسكري بوصفه ضرورة لحماية الدولة والمجتمع.

الفتوحات الخارجية – أولوية الداخل والفتح الفكري والأخلاقي:

لم تشهد مرحلة الإمام علي عليه السلام توسعاً عسكرياً خارجياً، ويرتبط ذلك بالظرف السياسي الداخلي، الذي استنزف الدولة وأعاد توجيه جهودها نحو معالجة الانقسام وإعادة بناء الاستقرار، وفي هذا السياق لا يظهر مفهوم الفتح في التجربة العلوية بوصفه مجرد توسع جغرافي، بل بوصفه مفهوماً أوسع يرتبط ببناء الإنسان والمجتمع، ويتجلى ذلك في:

– نشر القيم الأخلاقية والعدالة.

– بناء الإنسان فكرياً وسلوكياً.

– ترسيخ الإسلام بوصفه منظومة هداية وإصلاح.

وبهذا المعنى يصبح الفتح عند الإمام علي عليه السلام أقرب إلى فتح فكري وإنساني وأخلاقي، يقوم على التأثير في الإنسان وبناء وعيه، لا على الإكراه أو التوسع العسكري بوصفه غاية مستقلة.

فلسفة القوة – الأخلاق إطار السلطة:

تقدم نصوص الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة رؤية متكاملة للقوة، تقوم على ثلاث ركائز أساسية:

– القوة وسيلة تُستعمل عند الضرورة.

– الأخلاق شرط أساسي لمشروعية استخدامها.

– الحق معيار أعلى من الحسابات السياسية.

ويأتي قول الإمام علي عليه السلام: ((الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق))[1] ليكون التعبير الجامع لهذه الركائز الثلاث؛ فهو يضع الإنسان – أيّاً كان انتماؤه – في مركز فلسفة القوة، ويجعل من احترامه أساساً لا ينفصل عن ممارسة السلطة، فإذا كانت القوة وسيلة، فإن حدودها تُرسم بهذا القول؛ وإذا كانت الأخلاق شرطاً، فإن هذا النص يحدد مضمونها؛ وإذا كان الحق معياراً، فإن هذا القول يوسع مفهوم الحق ليشمل كل إنسان، مسلماً كان أو غير مسلم، بوصفه شريكاً في الإنسانية.

وبذلك يصبح هذا النص تجسيداً عملياً لفلسفة الإمام علي عليه السلام في إدارة الصراع، إذ تتكامل القوة مع الأخلاق والحق في رؤية واحدة، تجعل من السلطة مشروعاً إنسانياً، قبل أن تكون أداة سياسية أو عسكرية.

الخاتمة:

تقدم تجربة الإمام علي عليه السلام أنموذجاً قيادياً متكاملاً ، يجمع بين الحزم في القرار والدقة في إدارة الصراع، والانضباط الأخلاقي في استعمال القوة.

– في الجمل: إدارة الحرب مع تقليل آثارها الاجتماعية.

– في صفين: التريث الاستراتيجي في لحظة التعقيد السياسي.

– في النهروان: الحسم بعد اكتمال الحجة.

– في الفتوحات: أولوية بناء الداخل والإنسان والوعي.

وتكشف هذه التجربة عن وحدة منهجية تجعل من الحق معياراً ثابتاً، ومن الأخلاق إطاراً دائماً للسلطة، بما يجعلها أنموذجاً فكرياً صالحاً لفهم إدارة الصراعات في كل زمان ومكان، ومصدراً لإلهام معاصر في بناء أنظمة سياسية عادلة وإنسانية.

١- نهج البلاغة: ٣/ ٨٤.

بين الفلسفة والرياضيات
استكشاف الفكر التحليلي للإمام علي عليه السلام

د. زين العابدين الصافي
جامعة واسط



إنّ الفلسفة الرياضياتية تمثل مزيجاً مميزاً بين الفكر الفلسفي والمنهج الرياضياتي التحليلي، الذي تميز به الإمام علي عليه السلام، حيث سنخوض معاً بتجربة فكرية عميقة لاستكشاف الرابط بين الفلسفة والمنطق خلال فكر الإمام علي عليه السلام، والذي يعد أنموذجاً للتحليل الدقيق والاستدلال المنطقي الرياضياتي.
ذلك الإمام الذي يُعدّ أنموذجاً فريداً في العقلانية، والاستدلال العقلي المنطقي، والقدرة على تحليل المفاهيم المعقدة، لذلك عندما نتحدث عن الإمام علي عليه السلام، فإننا لا نتحدث فقط عن شخصية دينية أو سياسية، بل عن مفكر وفيلسوف، لا يوجد له نظير في التأريخ بعد النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، وعالم وظّف المنطق الرياضياتي والتأمل الفلسفي في خطبه وحكمه، مما جعله مصدر إلهام للفكر الإسلامي والعالمي.

كان الإمام علي عليه السلام يجمع بين التجريد الفلسفي والدقة الرياضياتية في رؤيته للحياة، إذ اعتمد على التحليل العقلي، والقياس المنطقي، ومبدأ التوازن والعدالة، وهي مفاهيم أساسية في كل من الرياضيات والفلسفة، لذلك من أبرز أهداف هذا المقال:

١. تحليل الفكر المنطقي للإمام علي عليه السلام، (دراسة منهج الإمام علي عليه السلام في الاستدلال العقلي والقياس المنطقي).

٢. بيان كيف استعمل الإمام التفكير الرياضياتي في تفسيراته ورؤاه في العدالة والحكمة.

٣. استكشاف الروابط بين الفلسفة والرياضيات، وتوضيح كيف أنّ الفكر الرياضياتي يعتمد نفس الأسس المنطقية.

٤. استلهام الدروس التطبيقية من فكر الإمام علي عليه السلام.

وربما يتساءل البعض... لماذا هذا العنوان؟

ونُجيب لأنّ الإمام علياً عليه السلام مفكر استثنائي، جمع بين الاستدلال الفلسفي والتجريد الرياضي، واستعمل المنطق، والقياس، والتحليل الرياضياتي في تفسيراته ورؤاه حول الحياة، والعدالة، والإدارة، حيث كان منهجه الفكري قائماً على الاستنتاج الرياضياتي والدقة المنطقية، وهو ما نجده اليوم في العلوم الحديثة، والذكاء الاصطناعي، والرياضيات التطبيقية.

ففي هذا المقال، سنسعى إلى استكشاف كيف استعمل الإمام علي عليه السلام المفاهيم الرياضياتية في تفسيراته الفلسفية، وكيف انعكس تفكيره الرياضياتي في رؤيته للعالم، والإدارة، والعدالة، ومن حيث الآتي:

المنهج الرياضي عند الإمام علي عليه السلام

أ. المنطق والبرهان: وهو أساس العلاقة بين الفلسفة والرياضيات، فالفلسفة تعتمد على التحليل العقلي والاستنتاج المنطقي، وهي نفس المبادئ التي تقوم عليها الرياضيات، فالإمام علي عليه السلام استعمل القياس المنطقي الرياضياتي في خطبه.

مثلاً: قوله ((كل متوقع آت، وكل آت قريب))[1] – وهو استدلال منطقي يشبه النظرية الرياضياتية في الاستنتاج المتسلسل، هذا النهج مشابه للمبرهنات الرياضياتية التي تعتمد على فرضيات، تؤدي إلى نتائج حتمية.

ب. مفهوم التوازن والعدالة بوصفه فكرة رياضياتية وفلسفية:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((العدل ميزان الله الذي

وضعه للخلق))[٢].

ففي الفلسفة: العدالة تعني إعطاء كل ذي حق حقه وفق مبدأ أخلاقي متوازن.

أما في الرياضيات: فالعدالة تشبه التناسب الرياضياتي، إذ يُوزَّع الحق بناءً على معايير منطقية.

هنا يظهر أنّ الإمام علياً عليه السلام رأى في التوازن الرياضياتي أساساً للفكر الفلسفي العادل.

ت. السببية والاحتمالات في فكر الإمام علي عليه السلام:

قال الإمام علي عليه السلام: ((دوام الفتن من أعظم المحن))[٣].

مما يمثّل العلاقة السببية بين الفكر والنتائج، هذه الفكرة تشبه الاحتمالات الرياضياتية، إذ يمكن توقع النتائج والأحداث بناءً على العوامل المسببة لها.

التطبيقات الحديثة لفكر الإمام علي عليه السلام في الفلسفة والرياضيات

أ. في الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات:

يتم استعمال المنطق الرياضياتي في تطوير الذكاء الاصطناعي، وهو نفس النهج الذي اتبعه الإمام علي عليه السلام في تحليل القضايا المعقدة، إذ يمكن تطوير الخوارزميات اعتماداً على فلسفة الإمام علي عليه السلام في تحليل المشكلات وحلها منطقياً.

ب. في النظم الاقتصادية والإدارية:

في الاقتصاد الحديث يُعتمد على النماذج الرياضياتية لتحليل التوازن في الأسواق، وهو مفهوم الإمام علي عليه السلام نفسه في توزيع الموارد بعدالة، كما في قوله عليه السلام: ((لا رأي لمن لا يطاع))[٤]، إذ تمثّل مفهوم التحكم الرياضياتي في الأنظمة، إذ لا يمكن تحقيق نتائج من دون تنفيذ القرارات.

ت. في تعليم التفكير النقدي:

يمكن استعمال منهج الإمام علي عليه السلام في تدريس الفلسفة والرياضيات معاً، لتعزيز التفكير النقدي القائم على الاستنتاج والتحليل المنطقي، إذ يمكن للطلاب تعلم كيفية استعمال الأدلة والبراهين الرياضياتية والفلسفية معاً للوصول إلى قرارات سليمة.

لذلك، سوف نقدم للقارئ سؤالاً: كيف يمكننا تطبيق فلسفة الإمام علي عليه السلام في حل المشكلات المعاصرة باستعمال الرياضيات والمنطق؟

وأخيراً نقول: إن فكر الإمام علي عليه السلام له أثر وترابط عميق بين الفلسفة والرياضيات عن طريق المنطق، والتوازن، والاستنتاج العقلي، ويمكننا اليوم الاستفادة من هذا النهج في مجالات متعددة ، منها الذكاء الاصطناعي، والاقتصاد، والتعليم لبناء مجتمعات أكثر عدالة وعقلانية.

١- الديلمي، ارشاد القلوب: ١٣٨.

٢- علي الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ: ١٥٠.

٣- محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٣/ ٢٣٦٦.

٤- نهج البلاغة: ١/ ٧٠.



خير البرية

لقد دأب رسول الله صلى الله عليه وآله على الوصية بأهل بيته وشيعتهم في مواطن شتى، وقد تجلّى ذلك بوضوح في فيضِ الروايات المأثورة عنه، وها هو صلى الله عليه وآله في لحظاته الأخيرة قبيل الالتحاق بالرفيق الأعلى، لم يغفل عن استحضار شيعته وأنصاره، مبيناً عظيم منزلتهم يوم القيامة؛ وفي المقابل، حذر من سوء عاقبة الظالمين وأتباعهم، مستعرضاً ما ينتظرهم من وعيد.

فقد روي عن أبان عن سليم، قال: ((سمعت علياً عليه السلام يقول: عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم توفي، وقد أسندته إلى صدري، وأن رأسه عند أذني، وقد أصغت المرأتان [عائشة وحفصة] لتسمعا الكلام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم سد مسامعهما. ثم قال لي صلى الله عليه وآله: يا علي، أرأيت قول الله تبارك وتعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾[البينة:٧].

ثم قال صلى الله عليه وآله: أتدري من هم؟ قال عليه السلام: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال صلى الله عليه وآله: فإنهم شيعتك وأنصارك، وموعدي وموعدهم الحوض يوم القيامة، إذا جثت الأمم على ركبها، وبدا لله تبارك وتعالى في عرض خلقه، ودعا الناس إلى ما لا بد لهم منه، فيدعوك وشيعتك، فتجيئون غراً محجلين شباعاً مروين. يا علي: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ**﴾[البينة: ٦]، فهم اليهود وبَنو أمية وشيعتهم، يبعثون يوم القيامة أشقياء جياعاً عطاشى مسودة وجوههم))[1].

١- المجلسي، بحار الأنوار: ٢٢/ ٤٩٨.

لسان الأمّة

- حضور ثورة الحسين عليه السلام في شعر أمل دنقل

د. زيد العكايشي
جامعة جابر بن حيان

حضور ثورة الحسين عليه السلام في شعر أمل دنقل

د. زيد العكايشي
جامعة جابر بن حيان



شاعر من صعيد مصر[١] عربيّ الأُرومة والأصل، يتفاخر((بأنّ نسبه يعود إلى قريش...من نسب يرجع إلى الأشراف))[٢]، قومي الهوى والتوجه[٣]، أطلّ برأسه عام ١٣٥٩هـ -١٩٤٠م[٤]، لوالد أزهريّ، علّمه المبادئ الأولى للفقه والشريعة، وأورثه خير جليس الكتاب والمكتبة[٥]، هو ((محمد أمل بن فهيم دنقل))[٦]، أبو القسام دنقل[٧]، المعروف بـ (أمل دنقل)، ((وسُمي أمل بهذا الاسم تيمناً لنجاح أبيه))[٨]، الذي عُد أمل عنده وعند أهل قريته،(فكان الوحيد في العائلة، بل في القرية كلها، الذي حصل على إجازة عالمية من الأزهر عام ١٩٤٠م وهو نفس العام الذي ولد فيه أمل)[٩]، ومن الصعيد ذي الصبغة الريفية، من قرية القلعة في قنا، أثر به والده كثيراً، وزرع في عقله الأنموذج الديني والوطني، فـ(فتعددت قراءاته وتكوينه الثقافي بين الكتب الدينية في مكتبة والده عالم الازهر والشاعر)[١٠].

لكنّ الأقدار لم تسمح لهذه الرفقة المثمرة، والصحبة المربّية المعلّمة أن تدوم طويلًا، فما أن حطّت قدماه العاشرة من عمره، حتى فقد عموده الفقري، إذ سقت المنية والده من كأسها، ولعلّ مشاهد اليُتم ارتسمت على قسمات وجه أمل، ووجدت صداها حاضراً في أدبه وشعره، حتى قيل عنه: (إنّه صوت الحق والحقيقة والشفافية ورفض الزيف، إنّه الباحث عن الحرية والاطمئنان طيلة حياته) [١١]، ولعلّ البحث المستمر عن نتاج حياة اليتم التي عاشها الشاعر، فيقول: (إنّني رجل بدأت رحلة معاناتي من سن العاشرة، وفي سن السابعة عشرة اغتربت عن كل ما يمنح الطمأنينة حتى الان)[١٢].

الامام الحسين عليه السلام في شعر أمل دنقل:

عبر هذه المسيرة الحياتية الصعبة، يحق لنا أن نتساءل: كيف عرف أمل دنقل الإمام الحسين عليه السلام واستوحاه؟ إننا بوصفنا قرّاء لديوان الشاعر عرفنا ثورة الإمام الحسين وشخصيته عليه السلام في شعر أمل دنقل بصورتها الإجمالية، إذ رأيناه ماثلاً في قصيدته (أوراق أبي نواس)، الورقة السابعة، كلوحة لم تكتمل رسم ملامح البطل من جميع زواياه، ولم ينقل لنا منعطفات واقعة الطف التأريخية بتفاصيلها، كما عوّدنا الشاعر العراقي أو اللبناني عندما يقف إزاءها، اي لم تمثل ثورة الإمام الحسين عنده سوى اللمحة الخاطفة، ولم يكن المحور الأساس في نصه الشعري، وهذا ما سجلناه في قصيدته الشعرية (أوراق ابي نواس)، بينما لو قرأنا نصه الشعري(مقتل القمر) وتجربته التي حملها فيه، فإننا نلحظ بأنه قد تعمد ورود اسم الإمام الحسين عليه السلام لكل مجريات الأحداث عن قضية الحسين عليه السلام، التي شغلت النقلات بدء من أول النص الى آخره، وانما اتخذه ضمنيا في ورقة واحدة من نصه، واذا أردنا أن ننظر إلى نص مقتل القمر، فنجد أن القصة الحسينية تأخذ حيزاً أكبر من التوظيف التراثي والقناع المستمر فيه ، وهذا ما سجلناه في قصيدته الشعرية[١٣]:

كنتُ في (كربلاء)

قال لي الشيخُ: إنّ الحسينَ ماتَ مِن أجلِ جرعةِ ماء!
وتساءلتُ: كيفَ السيوفُ استباحتْ بنيَ الأكرمين؟
فأجابَ الذي بصّرته السماء:
إنه الذهبُ المتلألئُ في كلِّ عينٍ
إن تكُن كلماتُ الحسينْ..
وسُيوفُ الحُسينْ..
وجَلالُ الحُسينْ..
سَقَطَتْ دون أن تُنقذَ الحقَّ من ذهبِ الأمراءْ؟
أفتقدرُ أن تنقذ الحقَّ ثرثرةُ الشُّعراء؟
والفراتُ لسانٌ من الدم لا يجدُ الشَّفتينْ
ماتَ من أجل جرعةِ ماءْ!

خاض الشاعر تجربة شعرية مع المألوف من قضية الطف الخالدة، في الورقة السابعة من قصيدته (أوراق أبي نواس)، واستمد منها العطش، الذي تحول إلى أبرز عنصر في الواقعة، وأضحى رمزًا لها، فالعطش الذي أصاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء غدا ايقونة كبرى لمصاب كربلاء، على

الرغم من كونها قيمة واحدة من عذابات يوم الطف العاشورائي، والأهمية تكمن في مخالفة الشاعر لهوى البيئة المصرية لعامة أبناء دولة مصر العربية، الذين يعيشون احتفالية عاشوراء، (ومن بين العادات الشيعية الباقية في مصر اليوم، ذكرى عاشوراء، وإن كان صلاح الدين قد حولها من ذكرى حزينة إلى ذكرى سعيدة، واستمر المصريون يحتفلون بها على طريقته)[١٤]، بينما الشاعر يكسر هذا التقليد والجمود على المعتقدات، ويذهب بنفسه عبر تجربته الفنية إلى ذلك الزمان، وينظر بعين البصيرة، ويستمد منه قيمة واحدة؛ لأنه اراد سحب كربلاء، وواقعها التأريخي الضارب في التأريخ إلى زماننا المعاصر؛ لكي يقول لنا: أخشى عليكم تكرار الزمان، فلا بدّ لأمتنا من أخذ العبرة من ذلك القائد العربي العاطش، الذي لم يتنازل عن مبادئه، طلب الشاعر التعرف عليه بوصفه شكلاً من أشكال التطهير من واقع التخاذل، وقتل روح التخلي عن القائد في الميدان وحيدًا فريسة للأعداء، وإن سلط الأعداء أشدّ العذابات؛ لأنّ الشاعر فهم الإمام الحسين عليه السلام بـ(أنه الظافر في كل الأزمنة والعصور، ولا فخر في تاريخ البشرية يضاهي فخره؛ فإنه استوعب البشرية كلها من عرب وعجم ومن قديم وجديد، فهو حقًا أبو الشهداء: وباء بالفخر الذي لا فخر مثله في تواريخ بني الانسان غير مستثني منهم عربي ولا أعجمي وقديم ولا حديث ... وحسبه أنه وحده في تاريخ هذه الدنيا الشهيد ابن الشهيد أبو الشهداء في مئات السنين)[١٥]، فصوته وصورته وذكراه تقمصه الشاعر قناعاً ليتجول فيه بين ضمائر أبناء العروبة والاسلام، مخلدًا فيهم صرخات القناع، عارضا أمامهم لقطات محكية عن استشهاده عطشانا مع عياله واهل بيته وأصحابه.

إنّ اللافت في توظيف العطش أن الشاعر لم يجعله عنوان الانكسار والخسارة، وفقدان الانتصار في المعركة، بل أعطى العطش القدرة لضم معانٍ أُخرى، بحيث حوّله إلى أداة لقصم ظهر الحاكم الجائر، وسبيلا يفضح به علامات القهر والجور الذي يمرّ به من يقول (لا) للحاكم الظالم، فإدخال العطش إلى عالم يخالف منع الماء، ويفهمه القارئ العربي، وهي رسالة بثها في نصه أنّ الحسين عليه السلام قاتل وقاوم وبقي مصّرا على ما أراده، مع قسوة الظروف التي لاقاها، فالانتصار يقابله أثمان عالية التكلفة، ويحتاج إلى من يستعد إلى ذلك.

وغيّر الشاعر موقفه من الماضي بما يجسده من أحداث وتصورات، بل حمله بطريقة الخطفة السريعة؛ لكي يعلن صراحة البراءة من الأسباب والنتائج التي جعلت ابن قائد الإسلام يستشهد عطشانًا بلا ناصر، وفي الوقت نفسه يعلن الدعوة صراحة من الإفادة من الماضي، بحملاته، وقصصه، وحكاياته، واستيعاب تجاربه، لما ينفعنا في وقتنا المعاصر، حتى تتحول تجربته إلى وسيلة يتكئ عليها، لكي يربي الأجيال عبر قبسات الماضي.

---

١. معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة ، د.أميل يعقوب:١/ ١٨٨.
٢. هاني الخيّر، شاعر الوجدان والتمرد، أمل دنقل:١١.
٣. د. أميرة عبد السلام زايد ، جدلية الشعر والتربية، القيم التربوية في شعر أمل دنقل:٢٩.
٤. ظ/ :١/ ١٨٨.
٥. معجم الشعراء منذ عصر النهضة:١/ ١١.
٦. م.ن: ١/ ١٨٨.
٧. ظ/ جدلية الشعر والتربية، القيم التربوية في شعر أمل دنقل:٢١.
٨. م.ن: ٢١.
٩. م.ن: ٢١.
١٠. م.ن: ٢٦.
١١. شاعر الوجدان والتمرد، أمل دنقل: ٢٧-٢٨.
١٢. جدلية الشعر والتربية، القيم التربوية في شعر أمل دنقل:٢١.
١٣. أمل دنقل ، الاعمال الكاملة: ٢٦٦-٢٦٧.
١٤. صالح الورداني ،الشيعة في مصر من الإمام علي عليه السلام حتى الإمام الخميني: ٧٥.
١٥. عباس محمود العقاد، أبو الشهداء حسين بن علي: ٢/ ٢٣٥.

ليت لا قرّتْ البسيطة دهراً..

الشيخ عبد الحسين الجواهري

حقّ أن تسكبي الدموعَ دماءا ... يا جفوني أو أن تسيلي بكاءا
صبيّ الدمعَ في زفيرٍ وإمّا ... اعوزَ الدمعُ صعّدي الاحشاءا
وجوىً الزم الخفوق فؤادي ... وضلوعي على اللهيب انحناءا
قد تعفّتْ الا بقايا رسومٍ ... كاد يقضي البلى عليها عَفاءا
زاد كربُ البلا بها فكأن الـ ... ـقلبَ فيها مشاهد كربلاءا
شد ما قد لقي بها آل طه ... من رزايا تهوّن الأرزاءا
مزقتهم بها الحوادث حتى ... عاد ابناءُ احمدٍ انباءا
اظهروا للحسين ما قد اسرّوا ... لأبيه الشحناءَ والبغضاءا
ومذاستحكمت عرى الخطب حتى ... ضيّقت في بني النبي الفضاءا
هبّ فيها الإبا فشعّت شموساً ... فاستطار الأعداءُ رعباً هباءا
وابوا لذّة الحياة بذلٍّ ... ورأوا عزّة الفناء بقاءا
يتهادون تحت ظلّ العوالي ... كنشاوى قد غادروا الصهباءا
اوجب المصطفى عليهم حقوقاً ... أحسنوها دون الحسين اداءا
يا بنفسي منهم وجوهاً يودّ الـ ... ـبدر منها لو استمدّ السناءا
وجسوماً من دونها الشهب فيها ... فاخرتْ ارضُ كربلاء السماءا
ليت لا قرّت البسيطة دهراً ... والسماوات ما استقاما بناءا
لن يروع الحوراء بالطف الا ... صوتُ من راعَ أمها الزهراءا



لهفي على الحسن الزاكي

السيد محسن الأمين العاملي

لهفي على الحسن الزاكي وما فعلتْ ... به الأعادي وما لاقى من المحنِ
سقته بغياً نقيع السمّ لا سقيتْ ... صوب الحيا من غوادي عارض المزنِ
فقطّعت كبداً للمصطفى ورمتْ ... فؤاد بضعته الزهراء بالحزنِ
وللحسين حنينٌ من فؤاد شجىً ... بالوجد مضطرمٍ بالحزن مرتهنِ
إمام حقٍ من الله العظيم له ... رياسة الدين والدنيا على سُننِ
الزاهد العابد الأوّاب من خلُصتْ ... لله نيته في السرّ والعلنِ
رزءٌ تهون له الارزاء أجمعها ... عن عظمه وهو حتى اليوم لم يهُن
يا آل أحمد لا ينفكّ رزؤكمُ ... يهيج لي ذكرَ أشجانٍ تؤرّقني
أنتم سفينة نوحٍ والنجاة بكم ... وليس في البحر من منجٍ سوى السفن
ديني ولاكم وبعد الموت حبكمُ ... ذخري إذا صرتُ رهن اللحد والكفن
الله أنزل فيكم وحيه وعلى ... ولائكم بني الإسلام حين بُني


السلامُ علَى الجنازةِ
المرميّة بالسّهـــام

قُرَّة الأَعين

- التوازن النفسي للفرد والمجتمع في فكر الإمام الرضا عليه السلام

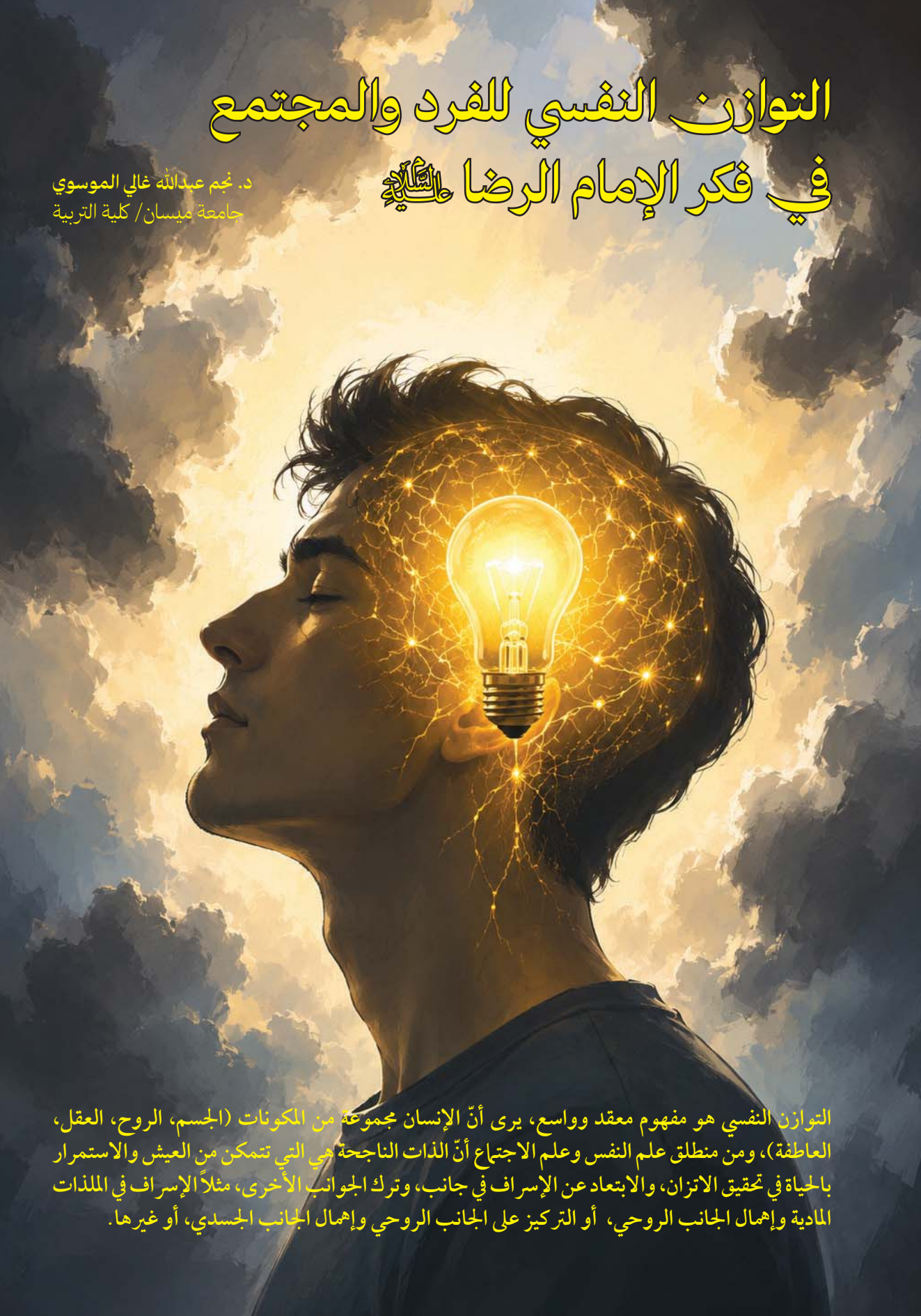
د. نجم عبدالله غالي الموسوي
جامعة ميسان/ كلية التربية

- عدوٌّ خلف الجلد لماذا تدمر الحرب أجهزة الدفاع الطبيعية في أجساد صغارنا؟

أوس ستار الغانمي
هيئة استثمار كربلاء

التوازن النفسي للفرد والمجتمع في فكر الإمام الرضا عليه السلام

د. نجم عبدالله غالي الموسوي
جامعة ميسان/ كلية التربية



التوازن النفسي هو مفهوم معقد وواسع، يرى أنّ الإنسان مجموعة من المكونات (الجسم، الروح، العقل، العاطفة)، ومن منطلق علم النفس وعلم الاجتماع أنّ الذات الناجحة هي التي تتمكن من العيش والاستمرار بالحياة في تحقيق الاتزان، والابتعاد عن الإسراف في جانب، وترك الجوانب الأخرى، مثلاً الإسراف في الملذات المادية وإهمال الجانب الروحي، أو التركيز على الجانب الروحي وإهمال الجانب الجسدي، أو غيرها.

فالتوازن النفسي هو حالة توازن بين الغرائز والرغبات الخاصة والذات والضمير، وهي القدرة على العطاء والحب من دون انتظار لمقابل[1].

إنّ للصحة النفسية أثرًا مهمًا في تكوين شخصية الفرد، ولكونها أكثر خطورة من الصحة الجسدية عمل الإسلام الحنيف على وضع منهج وأسس تربوية، تضمن حياة الفرد، وتحصنه تجاه العقد النفسية، عن طريق وجود تعليمات سماوية ذات بعدٍ فعالٍ في عملية تربية الفرد والمجتمع.

التوازن والتكيف النفسي:

لقد منحنا الله -سبحانه وتعالى- منهجاً إلهياً ودستورا أخلاقياً كفيلاً بان يحصن الفرد المسلم من كل ما يعكر صفو حياته النفسية الآمنة، ويجعله يعيش متزناً ومستقراً ومطمئناً، ومن بين مرتكزات هذا المنهج والدستور صفة التوازن والتكيف النفسي، التي حث الله سبحانه وتعالى عليها في العديد من الآيات المباركات في القرآن الكريم، وحث عليها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله والأئمة الهداة عليهم السلام.

فإذا أردنا أن يكون الفرد قوي الإرادة، صلب الإدراك، واثقاً من نفسه وذاته، لا بد أن يبنى بناءً متزناً، لا يهمل أي جانب من الجوانب؛ لأنها مجتمعةً تشكل الملامح الأساسية للشخصية السوية المعتدلة.

وقد حرص أئمة الهدى المعصومون عليهم السلام، ومنهم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، على تحقيق التوازن النفسي للفرد المسلم وللمجتمع الإسلامي، فكان أثره عليه السلام أثراً مباشراً، وله إسهامات كثيرة في البناء الروحي والجسدي والفكري والعقدي والتربوي، فضلا عن البناء والدعم والتوازن النفسي، الذي لا يقل أهمية عن الجوانب والبناءات الأخرى؛ كونه الوسيلة الأهم لخلق إنسان ومجتمع متوازن نفسياً وجسدياً.

مرجعا للتوازن النفسي والصحة النفسية:

بالرجوع إلى أقوال الإمام الرضا عليه السلام الشريفة ومروياته، نجد أنّ هناك تشابهاً بينها وبين المقاييس والمعايير العالمية للتوازن النفسي والصحة النفسية التي وضعها كبار المتخصصين في عصرنا الراهن، وهنا سيتم استعراض بعضٍ من أقواله عليه السلام، بحسب مقياس الصحة النفسية العالمي.

فمن حيث الصحة الجسمانية، نجد أن هناك كثيراً من الأحاديث المباركة للإمام الرضا عليه السلام بخصوص الطب والأطعمة والأشربة موجودة في صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، متضمنة توجيهات وأوامر ونواهي تخص صحة بدن الإنسان وسلامة أكله وشربه، منها قول الإمام الرضا عليه السلام: ((إنْ يكن في شيء شفاء ففي شرطة حجام أو شربة عسل))[2]، وقال عليه السلام: ((ليس الحمية من الشيء تركه، ولكن الإقلال منه))[3].

ومن حيث الاستقرار المهني: فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: ((إن الذي يطلب من فضل يكف به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله))[4]، وعن أبي عمرو الشيباني قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام وبيده مسحاة وعليه إزار غليظ يعمل في حائط له، والعرق يتصاب عن ظهره فقلت: جُعلت فداك أعطني أكفك، فقال لي: إني أحب أن يتأذى الرجل بحر الشمس في طلب المعيشة))[5].

كما أنّ الإمام الرضا عليه السلام أكد على الاستقرار الأسري، فقد روى يعقوب بن يزيد عن الحسين بن بشار الواسطي قال: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي اَلْحَسَنِ اَلرِّضَا عليه السلام: ((أَنَّ لِي قَرَابَةً قَدْ خَطَبَ إِلَيَّ اِبْنَتِي وفِي خُلُقِهِ سُوءٌ، فَقَالَ لاَ تُزَوِّجْهُ إِنْ كَانَ سَيِّئَ اَلْخُلُقِ))[6].

وقد حذر الإمام الرضا عليه السلام: من ترك الزواج فيروى: ((إن امرأة سألت أبا جعفر عليه السلام فقالت: أصلحك الله إني متبتلة فقال لها: وما التبتل عندك؟

قالت: لا أريد التزويج أبدا، قال: ولم؟ قالت: ألتمس في ذلك الفضل، فقال: انصرفي فلو كان في ذلك فضل لكانت فاطمة عليها السلام أحق به منك، إنه ليس أحد يسبقها إلى الفضل))[٧].

ومن حيث الضغوط النفسية، فقد وجّه الإمام عليه السلام لتجنب الضغوط، وعدم الاكتراث بها، فقد روي إنه قال لأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، أحد أصحابه الثقات المعتمدين، في حديث طويل جاء في ضمنه: ((وَإِيَّاكَ وَمُكَاشَفَةَ النَّاسِ، فَإِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ: نَصِلُ مَنْ قَطَعَنَا وَ نُحْسِنُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا فَنَرَى وَ اللهَّ فِي ذَلِكَ الْعَاقِبَةَ الْحَسَنَةَ))[٨].

فيجب على الشخص أن يواجه الضغوط، التي يتعرض إليها، وأن يتغلب عليها، فلا يكشف عن عيوب الآخرين، وإن كان معهم في نزاع وصراع، وأن يتجنب النزاعات المختلفة مع الناس، وأن يتسامح ويتساهل معهم، وأن يصلهم ويُحسن إلى من اعتدى عليه وأساء إليه؛ لأن هذا هو المعيار الحقيقي لتحقيق الصحة النفسية، وتحقيق التوازن النفسي الواقعي.

أما مهارات حل المشكلات فقد كان لها موقع كبير في أحاديث الإمام الرضا عليه السلام، فقد قال عليه السلام: ((صديق كل أمرئ عقله وعدوه جهله))[٩]، فالإنسان في هذه الحياة معرض إلى العديد من الابتلاءات والاختبارات، فضلاً عن طبيعة الحياة المليئة بالمتاعب والمصاعب، فلا بد من امتلاك القدرة العقلية والجسدية والنفسية، التي تدعمه وتعينه على المواجهة والقدرة على الصبر والتحمل وبذل الجهد، لمواجهة الأزمات، والتغلب عليها، وتذليلها وتفعيل العقل والتفكر والتدبر في حل المشكلات، ومواجهتها نفسياً وروحياً وعدم الانهزام إزاءها.

كما أن للطاقة السلبية تأثيراً في نظر الإمام الرضا عليه السلام، فقد اكد عليه السلام على ضرورة التخلص من الطاقة السلبية، بوصفها مصدرا للألم والانزعاج والمشكلات، فقد روي عنه عليه السلام أنه قال ((المسكنة مفتاح البؤس))[١٠]، وقال عليه السلام: ((الْمَسْأَلَةُ مِفْتَاحُ الْبُؤْسِ))، وقال عليه السلام أيضا: ((مَنْ تَكَلَّفَ مَا لَيْسَ مِنْ عَمَلِهِ ضَاعَ عَمَلُهُ، وَ خَابَ أَمَلُهُ))[١١].

إن من الضروري أن يكون الإنسان والمجتمع متسمين بالطاقة الإيجابية، وفي الوقت نفسه قادرين على التخلص من الطاقة السلبية التي تعترضهم، ولاسيما تلك الطاقة السلبية، التي تكمن فيها مشاعر القلق والخوف والحزن والحسد والغيرة والنفاق ... وما إلى ذلك، وعدم التكاسل والتثاقل ، بل بذل الجد والاجتهاد والسعي في طلب الخير والتوفيق له.

لقد كان للاستعداد للطوارئ مكانة بارزة في أحاديث الإمام الرضا عليه السلام، فقد قال الإمام الرضا عليه السلام: ((الصبرُ عُدّةُ البلاء))[١٢]، وقال عليه السلام: ((المرض للمؤمن تطهير ورحمة، وللكافر تعذيب ولعنة، وإن المرض لا يزال بالمؤمن حتى لا يكون عليه ذنب))[١٣].

ومن حيث التمسك بالعلاقات الإنسانية، كان للإمام رأي فيها وأحاديث كثيرة، منها أنه قال: ((رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس، واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر))[١٤]، وقال عليه السلام أيضا: ((عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه))[١٥].

بناء المجتمع الصحيح:

تعتبر عملية بناء المجتمع من الأمور المهمة، التي أكدتها جميع الأديان السماوية والقوانين الوضعية، فهي ترى أنه لا تبنى البشرية ولا تستقيم إلا بوجود بناءات مجتمعية صحيحة، ولا يطمئن الفرد ولا يستقر إلا بوجوده داخل مجتمع قويم، يمنح الاطمئنان، ويحفظ حقه وكرامته ويصونه.

كما كان للاستقرار الروحي أثر كبير في أقواله الشريفة فقد أكد عليه السلام) على الاستقرار الروحي عندما قال عليه السلام: ((أحسن الناس إيماناً أحسنهم خلقاً))[١٦]، كما قال عليه السلام: ((أحسن الظن بالله، فان من حسن ظنه بالله كان الله عند ظنه))[١٧].

إن الأخلاق الإسلامية الأصيلة هي إحدى الركائز المهمة في البناء النفسي والاستقرار الروحي لدى الفرد والمجتمع، فكلما زاد التقرب إلى الله تعالى استقرت الأنفس والأرواح، وسلمت من الموبقات والرزايا والآثام والأدناس، ونرى أن الإمام الرضا عليه السلام يؤكد على تكوين المنظومة الأخلاقية، وضرورة الالتزام بها والسير عليها، فهي السبيل والطريق الذي يوصل إلى رضا الله تعالى، وإلى حصول الخير والفائدة، فضلاً عن أن التعلم من التجارب، إذ قال الإمام الرضا عليه السلام: ((كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون))[١٨]، وقال عليه السلام أيضا: ((من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له))[١٩].

وبالطبع يمر الإنسان بخبرات مستمرة، منها الجيد ومنها السيئ، لهذا يجب على كل فرد، ألا يعتمد على خبراته الشخصية فحسب، بل يجب عليه أن يتعلم من خبرات الآخرين، ولاسيما المقربين منه، ذوي الحكمة والتعقل، فهذا الأمر يرفع من كفاءة التهيئة للمواقف، والاستعداد للطوارئ طوال الوقت، فيشعر الإنسان أنه مسلح، ويستطيع أن يستقر نفسيًا؛ نظراً لاطمئنانه وثقته بقدراته.

خلاصة الكلام:

إن الإمام الرضا عليه السلام يدعو الفرد إلى التكيف الإيجابي مع المجموعة الصالحة، والعيش بأمن وأمان وعافية في النفس والجسد، ومن ثم تكون حياة الأفراد الآخرين أكثر قيمة وذات معنى وجدوى، وقد سعى عليه السلام إلى محاربة اليأس والقنوط؛ لأنهما حالة مقيتة، قد تؤدي إلى الإيغال في الأمور السلبية، وتزيد من الابتعاد عن الله تعالى ، وتزيد من توقع الخيبة والفشل، وتبعد عن الرجاء والأمل وحسن الظن بالله تعالى، ولشدة ضرر اليأس والقنوط فقد أنزلهما الله بمنزلة الضلال والكفر؛ بسبب خطرهما الكبير ونتيجة لآثارهما السلبية على الإنسان، التي منها أنّ اليأس والقنوط تزيد من هم الفرد وغمّه وحزنه وعدم استقراره النفسي وتدمير صحته النفسية، وقد كان توجيه الإمام الرضا عليه السلام باعتماد الصبر والثبات والقوة في الشخصية وزيادة قوة التحمل؛ لأنهما من أساسيات الحياة المملوءة بالمتاعب والمصاعب، فالإنسان الصابر قوي الشخصية لديه إرادة وعزيمة، وثقة بربه ونفسه عند كل بلاء.

---

١. أحمد عكاشة، الرضا النفسي الباب الملكي للصحة والسعادة: ط١.
٢. محمد مهدي نجف، صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ٥٣.
٣. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٢/ ٩٤١.
٤. محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة:٤٣.
٥. المجلسي، بحار الأنوار: ٤٧/ ٥٧.
٦. الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٤٠٩.
٧. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٢/ ١.
٨. الكليني، الكافي: ٣/ ٤٨٨.
٩. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٣/ ٢٠٣٧.
١٠. الشيخ عزيز الله عطاردي، مسند الإمام الرضا عليه السلام: ١/ ٣٠٣.
١١. حسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ١/ ١٢٢.
١٢. اغا جمال الخونساري، شرح غرر الحكم ودرر الكلم: ١/ ١٩٥.
١٣. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٢/ ٩٩٩.
١٤. محمد مهدي نجف، صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ٥٢.
١٥. المصدر نفسه: ٦٧.
١٦. المصدر نفسه.
١٧. محمد الغروي، أمثال وحكم الإمام الرضا عليه السلام: ٤٤١.
١٨. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٢/ ٩٩٥.
١٩. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار: ٨٥/ ٣٦.

عدوٌّ خلف الجلد
لماذا تدمر الحرب أجهزة الدفاع الطبيعية في أجساد صغارنا؟

أوس ستار الغانمي
هيئة استثمار كربلاء



في زحام الأخبار التي تضج بها شاشات التلفاز، وفي غمرة الإحصائيات التي تُسجل أعداد الشهداء، والجرحى، والبيوت التي استحالت ركاماً، يغيب عن المشهد رقمٌ خفي، وإحصائية صامتة لا تلتقطها كاميرات المراسلين.

إنها الحرب التي تشنها "الذكرى" ضد "الخلايا"، والمعركة التي تدور رحاها تحت جلود الأطفال الذين ظن الجميع أنهم "نجوا" لمجرد أن أجسادهم لم تلمسها شظية، ولم تنهش أطرافهم رصاصة، لكن الحقيقة التي يهمس بها العلم، وتصرخ بها ملامح الصغار الذابلة، تقول إن النجاة الظاهرية ليست سوى بداية لفصلٍ مرير من "الاستيطان البيولوجي" للصدمة.

ذاكرة الأنسجة:

يقول علماء علم النفس العصبي إنّ العقل البشري، وفي ذروة رحمة الله بعباده، يمتلك ميزة "الكبت"؛ وهي قدرة الطفل على طمر الذكريات البشعة في سراديب النسيان؛ لكي يتمكن من مواصلة اللعب، أو الذهاب إلى المدرسة، أو حتى الابتسام في وجه أمّه، لكن هذا "النسيان الذهني" ليس سوى خدعة بصرية، فبينما ينجح العقل في إغلاق الستار على مشهد الانفجار، تظل الخلايا المناعية، وكريات الدم البيضاء، وهرمونات الغدد الصماء، في حالة استنفارٍ دائم.

الجسد لا ينسى الارتجافة الأولى، ولا يغفر للرعد الذي هزّ أركان الطفولة، إنه يختزن الترددات الصادمة في ثنايا الأنسجة، ويحولها إلى "لغة كيميائية" قاسية تهاجم جدار المناعة من الداخل.

إننا إزاء ظاهرة "بيولوجيا القهر"، الطفل الذي عاصر الحرب يعيش في حالة "تأهب قصوى"، بالنسبة لجهازه العصبي، الحرب لم تنتهِ بوقف إطلاق النار، بل انتقلت لتعيش داخل شرايينه؛ هذا الاستنفار الدائم يستهلك مخزون "الطاقة الحيوية" التي كان يُفترض أن تُوجهه لنمو العظام، وتقوية الذاكرة، وبناء جدار دفاعي صلب ضد الفيروسات، بدلاً من ذلك تُهدر هذه الطاقة في ضخ هرمونات التوتر كـ "الكورتيزول" و"الأدرينالين" بكميات سامة، تحول الجسد الغض إلى ساحة حرب ميكروبية مفتوحة.

انكسار الدرع:

في الحالة الطبيعية، يُعد الكورتيزول حارساً أميناً، ينظم ضغط الدم ويواجه الالتهابات، لكن في ظروف الحرب، يتحول هذا الحارس إلى "عدوٍ حميم"، عندما يستمر تدفقه في دماء الطفل لأشهر أو سنوات نتيجة الخوف المزمن، فإنه يقوم بعملية "إبادة" ممنهجة للخلايا الليمفاوية، وهي الجنود الحقيقيون في جيش المناعة.

هنا تكمن المأساة؛ فالطفل الذي نجا من القصف، قد يسقط صريعاً أمام "إنفلونزا" عابرة، أو التهابٍ بسيط في الأمعاء، لأنّ جيشه الداخلي قد أُنهك في مطاردة أشباح الصدمة، الجسد المتذكر للرعب يرفض الاسترخاء، والرفض يعني الاستنزاف، والاستنزاف يعني انهيار المناعة، إنها حلقة مفرغة تبدأ بصوت طائرة، وتنتهي بجسدٍ هش يفقد قدرته على التمييز بين الصديق والعدو، ليبدأ أحياناً في مهاجمة نفسه فيما يُعرف بأمراض المناعة الذاتية، التي باتت تنتشر كالنار في الهشيم بين أطفال مناطق النزاع.

الأمعاء المنكوبة.. الدماغ الثاني الذي لا يكذب:

لا تتوقف الحرب عند حدود الجلد، بل تغوص عميقاً لتصل إلى "الدماغ الثاني" للطفل؛ جهازه الهضمي هناك، حيث تسكن ٧٠٪ من القوة الدفاعية للإنسان، تشن الصدمة غارة شعواء على ما يُعرف بـ "الميكروبيوم" أو البكتيريا النافعة، هذه الكائنات الدقيقة هي التي تعلم جهاز المناعة كيف يفرق بين الغذاء والسم، وبين البكتيريا النافعة والجرثومة الغازية.

التوتر المزمن الذي يخلفه الرعب يغير كيمياء الأمعاء، ويحولها من بيئة حاضنة للحياة إلى وسطٍ ملتهب، تظهر "متلازمة الأمعاء المتسربة"، حيث تبدأ السموم بالتسلل إلى مجرى الدم، مما يضع الجهاز المناعي في حالة "هستيريا" دائمة.

هذا يفسر لماذا نجد أطفال الحروب يعانون من حساسيات مفرطة، واضطرابات هضمية مزمنة، ونحولٍ لا تفسره قلة الطعام وحدها، بل يفسره "الاحتراق الداخلي" للقلق الذي يسكن أحشاءهم.

وراثة الوجع:

لعل أخطر ما كشف عنه العلم الحديث في مجال "تخلق الجينات" هو أنّ أثر الحرب لا يمحوه الزمن، بل قد يورثه الآباء للأبناء، والصدمات العنيفة تترك "وشوماً كيميائية" على جينات الطفل، لا تغير تركيبها، لكنها تعطل مفاتيحها، إذ إنها تجعل جين "الهدوء" معطلاً، وجين "التحفز للمرض" مشتعلًا دائماً، هكذا يولد جيلٌ جديد يحمل في جيناته استجابة مناعية مشوهة، حتى لو ولد في خيمة بعيدة عن القصف، لأن جسد الأب أو الأم قد "تذكر" الحرب وطبعها في بويضاته ونطافه كوصيةٍ حزينة بالضعف والوهن.

الملاذ الروحي:

إزاء هذا التدمير البيولوجي الشامل، تبرز مسؤوليتنا الرسالية والتربوية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، إن "الأمان" في منطقنا ليس مجرد غياب للخوف، بل هو "عبادة" و" حق أصيل"، عندما نقرأ في الأثر عن عظيم أجر المسح على رأس اليتيم، أو ضرورة ملاعبة الطفل وتأمين روعه، فنحن لا نتحدث عن سلوكٍ عاطفي مجرد، بل عن "هندسة بيولوجية" لإعادة ترميم المناعة.

إنّ لحظة الاحتضان الدافئة ترفع مستويات هرمون "الأوكسيتوسين" (هرمون الحب والأمان) في دم الطفل، وهذا الهرمون هو الترياق الوحيد القادر على إطفاء حرائق الكورتيزول.

لعل أخطر ما كشف عنه العلم الحديث في مجال "تخلق الجينات" هو أنّ أثر الحرب لا يمحوه الزمن، بل قد يورثه الآباء للأبناء، والصدمات العنيفة تترك "وشوماً كيميائية" على جينات الطفل، لا تغير تركيبها، لكنها تعطل مفاتيحها.

إنّ غرس قيم التوكل، وربط قلب الصغير بخالقه، ومنحه شعوراً بالانتماء لبيئة إيمانية حاضنة، يقلل من حدة "الاستجابة الهرمونية" للرعب، فنحن بحاجة إلى تحويل مساجدنا، ومدارسنا، وبيوتنا إلى "واحات مناعية"، حيث تُرمم الروح؛ لكي يستعيد الجسد عافيته.

مسؤولية الجيل

إنّ الطفل الذي تنهش الحرب مناعته اليوم، هو الشاب الذي سيتعين عليه بناء الأمّة غداً، فإذا كان العقل قد نسي تفاصيل الفاجعة ليتمكن من العيش، فإن الجسد ما يزال يصرخ طالباً النجدة عبر الأمراض المتلاحقة والوهن المزمن؛ إنّ معركتنا مع العدو ليست في الجبهات فقط، بل في مختبرات الصحة النفسية، وفي أطباق الطعام المغذية، وفي الكلمات المطمئنة التي نهمس بها في آذان صغارنا قبل النوم.

يجب أنّ نعلم يقيناً أن "الجسد يتذكر"، ومهمتنا المقدسة هي أن نملأ تلك الذاكرة بآيات السكينة، وبصناعة الأمل، وببناء جدران دفاعية من الحب واليقين، لكي لا تظل الحرب "ساكنًا سريًا" تحت جلد أطفالنا، يسرق منهم عافيتهم بعد أن سرق منهم طفولتهم، إنها أمانة الله في أعناقنا، وحفظ النفس يبدأ من حفظ سكينتها.

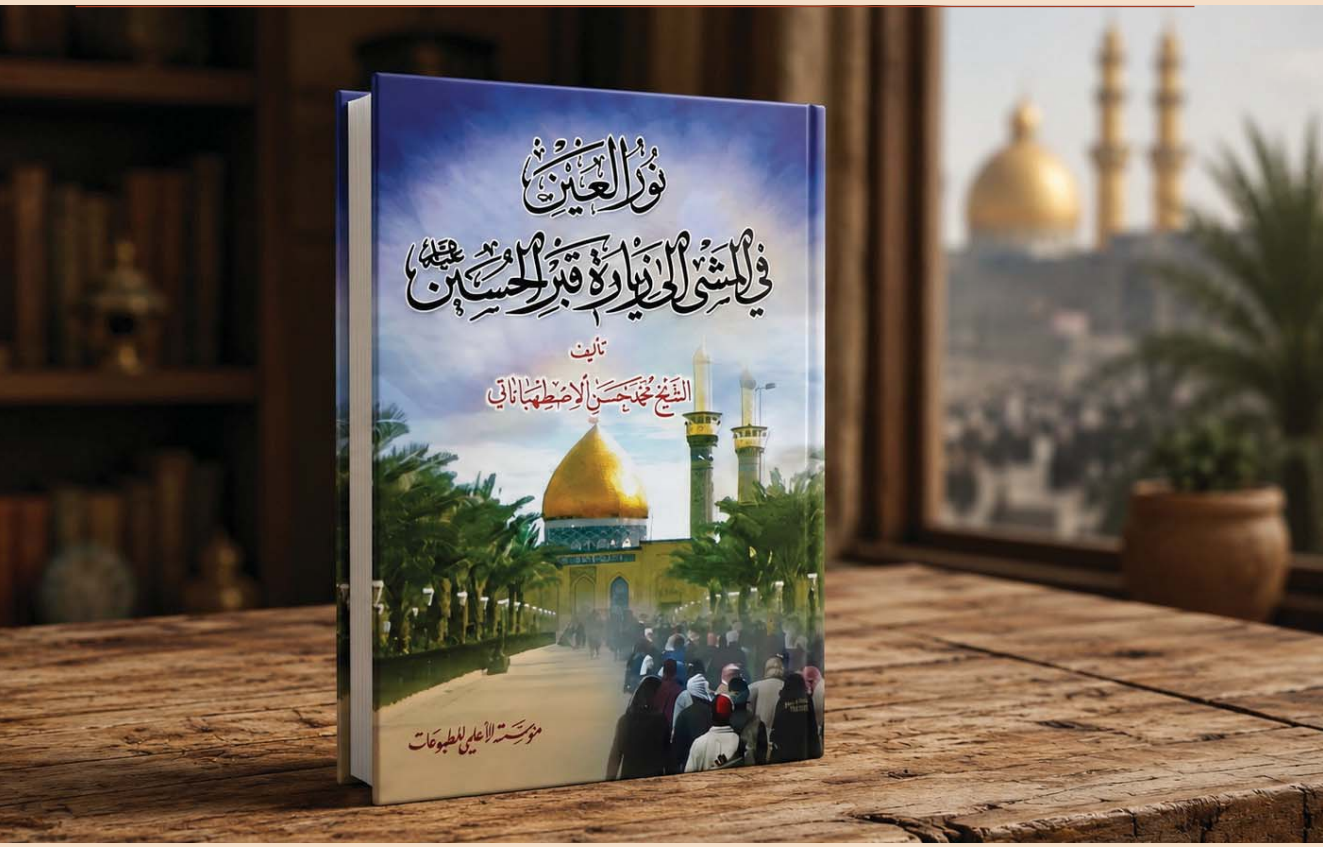
ببليوغرافيا العلوم

- قراءة في كتاب: نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام للشيخ محمد حسن الأصطهباناتي

الباحث الشيخ محمد السمناوي
الحوزة العلمية في النجف الاشرف

- أخو نهج البلاغة نزهة الأبصار لعلي بن مهدي الطبري

أ.م مهدي مجتهدي
جامعة فردوسي، مشهد، إيران



قراءة في كتاب: نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام للشيخ محمد حسن الأصطهباناتي

الباحث الشيخ محمد السمناوي
الحوزة العلمية في النجف الاشرف

يقدم هذا المقال قراءة تحليلية موجزة في كتاب "نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام" لمؤلفه الشيخ محمد حسن الأصطهباناتي. يهدف الكتاب، الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م عن مؤسسة الرائد للمطبوعات، إلى تسليط الضوء على عظم ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام، خاصة سيراً على الأقدام. يكتسب هذا الموضوع أهمية بالغة في الثقافة الشيعية، إذ تُعد زيارة الأربعين مشياً على الأقدام تقليداً لعقيدة راسخة يمارسها الملايين، ويستعرض هذا المقال الخطوط الأساسية وخريطة المحتوى للمقتطفات المتوفرة من الكتاب، مقدماً للقارئ فهماً شاملاً لأهم الأفكار والنتائج والتوصيات التي يتضمنها هذا العمل القيم، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه القراءة تعتمد على المقتطفات من الكتاب، ولا تغطي جميع تفاصيله أو هيكله الكامل.

خريطة الكتاب والخطوط الأساسية:

يتناول الكتاب بأسلوبه المميز ومحتواه الغني، الذي ينتمي إلى التصنيفات الرئيسية للزيارة والمراقد المقدسة والآداب والتقاليد المرتبطة بها، جوانب متعددة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، يمكن تبويبها ضمن المحاور الآتية:

أولاً: فضل المشي إلى الزيارة والآثار الروحية العظيمة:

يُستهل الكتاب بالتركيز على الاستحباب البالغ للمشي إلى زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، وتُورد فيه عدة روايات عن الإمام الصادق عليه السلام، تؤكد الأجر العظيم لهذه العبادة. فلكل خطوة يخطوها الزائر في هذا المسير، تُكتب له حسنة، وتُمحى عنه سيئة، وتُرفع له درجة، ويصل الأجر إلى حد يُعادل أجر حج وعمرة مقبولتين أو أكثر من ألف حجة وعمرة. كما تُشير الروايات إلى أن الزائر تُغفر ذنوبه، ويُفك رقبته من الرق، ويُخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وتؤكد بعض الروايات أن الملائكة تكتب هذه الحسنات وتُصلي على الزائر.

ويُبرز الكتاب دعاءً خاصاً للإمام الصادق عليه السلام لزوار الإمام الحسين عليه السلام، يطلب فيه من الله أن يرحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وأن يرحم تلك الخدود التي تقلّبت على قبر أبي عبد الله الحسين، وأن يرحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة له، وأن يرحم تلك القلوب التي جزعت واحرقت حزناً عليه، وأن يرحم تلك الصرخة التي كانت له، ويستودع الأبدان حتى تُروى من حوض يوم العطش، وهذا الدعاء يُبرز مدى الرعاية الإلهية والاهتمام بأولئك، الذين يتحملون المشقة في سبيل زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

ثانياً: زيارة الإمام الحسين عليه السلام بوصفها فرضا وواجباً ومحوراً للإيمان:

ينتقل الكتاب بعد ذلك إلى تأكيد أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليست مجرد مستحب، بل هي فرض وواجب على كل مؤمن ومؤمنة، تُروى أحاديث عن الإمام الصادق عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام تُشدد على هذه المسألة. ويُعتبر ترك الزيارة نقصاً في الإيمان، وتُبيّن الروايات أنّ من لم يأتِ قبر الحسين عليه السلام فقد ترك حقاً من حقوق الله ورسوله. كما تُشير إلى أنّ هذه الزيارة تدفع الهدم والحرق وتُطيل العمر وتزيد في الرزق.

ثالثاً: عواقب ترك الزيارة والجفاء نحو الإمام عليه السلام:

يحذر الكتاب بشدة من ترك زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ويُطلق على ذلك وصف "الجفاء". فمن ترك زيارته من دون عذر مشروع، قد يُعد ذلك نقصاناً في الإيمان، وقد يُحرم من شفاعة الإمام عليه السلام، بل قد يُؤثر ذلك على عمره ورزقه. وتذكر الروايات أن من ترك زيارة الحسين عليه السلام تُنقص من عمره ست سنوات. ويُعبر الأئمة عليهم السلام عن استغرابهم وشكواهم ممن يتركون زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

رابعاً: ثواب الزيارة في ظل الخوف والمحن والإنفاق:

يُفرد الكتاب فصلاً خاصاً لـ "ثواب من زار الحسين عليه السلام خوف ووجل"، حيث تُشير الروايات إلى أجر مضاعف لمن يزور الإمام في ظل الظروف الصعبة والتهديدات. فمثل هؤلاء الزوار تُصافحهم الملائكة، وتُغفر لهم ذنوبهم. ويُقال أنهم في ظل العرش. وتُذكر قصص لأفراد زاروا الإمام في ظروف قاسية، مؤكدة على عظيم الأجر.

ويتناول الكتاب أيضاً حكم اللطم في العزاء، فيُبيّن أنّه جائز إذا كان من منتهى الحلم، ولم يُؤدِّ إلى ضرر يُفضي إلى الموت أو تغيير في الخلقة.

كما يُبين الكتاب ثواب من قُتل في سبيل زيارة

الإمام الحسين عليه السلام، فيُذكر أنّ قطرة دم واحدة من دم الشهيد تُغفر له كل خطيئة، وأنّ الملائكة تُطهره، وأن الله يفتح صدره ويشرح قلبه. ويُذكر أنّ الشهيد في هذا السبيل يشفع لألف من أهله وإخوانه، ويُصلي عليه جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملائكة كثيرة.

ويُفصل الكتاب في ثواب من حُبس أو ضُرب في سبيل زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فكل يوم حبس يُكتب له أجر ألف حجة وعمرة. ولكل ضربة يتلقاها الزائر في هذا السبيل، يُدخل الله على بدنه ألف حسنة، ويُمحى بها ألف سيئة، ويُرفع له ألف درجة.

ويذكر الكتاب أيضاً ثواب من مات في طريق زيارته، فإذا مات الزائر وهو في طريقه إلى الإمام الحسين عليه السلام، فإنه يُدفن من دون حساب، ويُدخل الجنة مباشرة. الملائكة تُشيّعه وتفتح له أبواب السماء.

وفيما يتعلق بالإنفاق، يُخصص الكتاب فصلاً لـ "ثواب من أنفق في الزيارة". تُؤكد الروايات أن كل درهم يُنفقه الزائر في سبيل الزيارة يُعاد عليه بألف ضعف، ويُبارك له في دنياه، ويُكتب له أجر سبعين ألف حجة، وكذلك يذكر الكتاب ثواب من جهّز غيره لزيارة الإمام الحسين عليه السلام ولم يخرج هو بنفسه، فيُقال إن أجره أعظم ممن زار بنفسه، وتُغفر ذنوبه.

خامساً: كيفية زيارة الإمام الحسين عليه السلام والآداب المطلوبة:

يُشير الكتاب إلى بعض الآداب التي تُكره في الزيارة، مثل اتخاذ "علق" (طريق معين أو عادة معينة) لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، مما يعني التأكيد على جوهر الزيارة وهو القصد إلى المرقد المقدس بحد ذاته، وليس التقيّد بعادات قد تُبعد عن روح العبادة.

كما يُبين الكتاب كيف يجب أن يكون زائر الإمام الحسين عليه السلام، فيُشدد على أن يكون الزائر متصفاً بالخشوع والحزن، حزيناً يبكي، أشعث أغبر، جائعاً وعطشاناً، ليشعر ببعض ما قاساه الإمام عليه السلام. هذه الحالة الجسدية والنفسية تمثّل مدى التعاطف والتأثر العميق بمأساة كربلاء.

سادساً: المنزلة العظمى لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وصلتها بالذات الإلهية:

يُبرز الكتاب أنّ زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام من أحب الأعمال إلى الله تعالى، بل هي من أفضل ما يكون من الأعمال. وتُروى أحاديث تُشير إلى أن من زار قبر الإمام الحسين عليه السلام "كان فوق عرش الله"، أو أنه "كان عرش الله في عرشه"، أو "كان كرسي الله"، وهي تعابير مجازية تُعبر عن أقصى درجات القرب الإلهي والمنزلة الرفيعة التي يبلغها الزائر عند الله تعالى. كما يُذكر أنّ الزائر يصبح "محدث رسول الله"، أي يتلقى إلهاماً خاصاً، وأنه "في ظل العرش".

ويُشير الكتاب أيضاً إلى أنّ من سرّه أن ينظر إلى الله، فليُكثر زيارة قبر الحسين عليه السلام، في دلالة على أنها طريق للوصول إلى أعلى مراتب المعرفة الإلهية.

سابعاً: حضور الكائنات الروحانية والأنبياء والأئمة في الزيارة:

يُفرد الكتاب فصولاً تُبيّن حضور الملائكة والأنبياء والأئمة عليهم السلام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام. يُذكر أن الله جل وعلا يزور الحسين عليه السلام في كل ليلة جمعة، وأن الأنبياء يسألون الله في زيارة الحسين عليه السلام، بل ما من نبي إلا وقد زاره، وتُورد تفاصيل لزيارة أنبياء مثل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، وكيف أنهم بكوا على مصاب الحسين.

ويُسلط الضوء على أنّ النبي الأعظم والعترة الطاهرة يزورون الحسين عليه السلام، فمحمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته يُعبرون عن حزنهم العميق لمصابه، وتُذكر روايات تُصور بكاء السماء والملائكة والأرض دماً على الإمام الحسين. كما تُورد روايات عن أن الملائكة

تُصلي على زائر الإمام الحسين عليه السلام، وأن أربعة آلاف ملك أو سبعين ألف ملك يكونون عند قبره يصلون عليه ويدعون له ويستغفرون له، كما تُشير إلى أن الملائكة تُصافح الزائرين، وتُحيّيهم، وتكتب حسناتهم، ويُنادون عليهم بـ "أيها الطيبون طبتم وطابت لكم الجنة".

ثامناً: شفاعة الإمام الحسين عليه السلام وغفران الذنوب:

يُبرز الكتاب بشكل خاص أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام تُوجب غفران ما تقدم من الذنب وما تأخر. تُروى أحاديث كثيرة تؤكد أن الزائر يُغفر له كل ذنوبه، ويُخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وتُشير الروايات إلى أن زوار الإمام الحسين عليه السلام "يشفعون" لغيرهم. والنبي صلى الله عليه وآله يخلص زوار الحسين عليه السلام وينقذهم من أهوال القيامة وشدائدها. وتُعتبر هذه الزيارة صلة لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وأفضل من زيارة الإمام الحي.

الخاتمة:

بناءً على هذه القراءة المقدمة من كتاب "نور العين"، وفي ختامها يمكن استخلاص النتائج الأساسية الآتية:

يُظهر الكتاب أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليست مجرد عبادة، بل هي محور إيماني ذو مكانة استثنائية تفوق العديد من العبادات الأخرى في الأجر والثواب، وتُعد حقاً من حقوق الله تعالى على المؤمنين.

تُؤكد الروايات على قرب الزائر من الله تعالى إلى درجة "فوق العرش" أو كونه "عرش الله"، وتُشير إلى حضور الملائكة والأنبياء والأئمة عليهم السلام في هذه الزيارة.

تُعد الزيارة وسيلة عظيمة لمحو الذنوب، ما تقدم منها وما تأخر، وتضمن شفاعة الإمام الحسين عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله للمشاة وزواره في الدنيا والآخرة.

يُفرد الكتاب مساحة واسعة لبيان الثواب الجزيل لمن تحمل المشاق، الخوف، السجن، الضرب، أو حتى الشهادة في سبيل الوصول إلى مرقد الإمام عليه السلام.

تُبيّن الروايات ضرورة أن يكون الزائر في حالة نفسية وجسدية تمثّل الحزن والتأسي بمصاب الإمام عليه السلام، مما يُعزز الجانب الروحي والأخلاقي للزائر.

بناءً على هذه النتائج، يُمكن تقديم التوصيات الآتية:

١. الاستمرار في إحياء سنة المشي إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام في جميع الأوقات لما لها من آثار عظيمة على الفرد والمجتمع، ولما تُعززه من قيم الإيمان والتضحية والولاء.

٢. يجب تبيان أن الزيارة ليست مجرد عادة، بل هي عبادة ذات أبعاد روحية عظيمة تقرب العبد من ربه، وتضمن له المغفرة والشفاعة.

٣. ينبغي التركيز على أنّ الزيارة هي رحلة للقلب قبل الجسد، وأنّ حالة الحزن والخشوع والتأسي هي جوهر هذه العبادة، لضمان استفادة الزائر من كامل بركاتها.

٤. دعم الزوار وتسهيل رحلتهم، ويتجلى ذلك في تشجيع الإنفاق في سبيل الزيارة وتجهيز الزائرين المحتاجين، لما لذلك من أجر مضاعف عند الله تعالى.

٥. تُوصي هذه القراءة بضرورة التعمق في الروايات المذكورة في الكتاب وما شابهها، لفهم أعمق للمفاهيم الروحية والمجازات الواردة فيها، مثل التعبيرات عن القرب الإلهي والصلة بالعرش الإلهي.

بهذا، يكون كتاب "نور العين" بمثابة دليل شامل ومرجع قيم لكل من أراد أن يفهم أبعاد زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وأن يستشعر فضلها وعظيم أثرها في الدنيا والآخرة.

نُزهة الأبصار ومَحاسِن الآثار

تأليف

أبي الحسن علي بن مهدي الطبري المامطيري

(٢١٠ـ٦٢٠هـ) تقريبا

تحقيق

العلّامة محمد باقر المحمودي



اخو نهج البلاغة
نزهة الأبصار لعلي بن مهدي الطبري

أ.م مهدي مجتهدي
جامعة فردوسي، مشهد، إيران.

لطالما حظيت كلمات أمير المؤمنين علي عليه السلام باهتمام علماء الإسلام منذ القدم، وتم جمعها دائماً من قبل محدثي الشيعة وغيرهم، ولكن العديد من هذه المصادر ضاعت ولم تصل إلينا، وقد جمع السيد الرضي نهج البلاغة بناءً على الأعمال السابقة له، لكنّه نادراً ما أشار إلى المصادر والأسانيد.

ويمكن أن يُعد كتاب " نزهةالأبصار ومحاسن الآثار" لعلي بن مهدي الطبري المامطيري مصدرا ذا أهمية خاصة، من حيث قدمه، ومن حيث النسخة الخطية الوحيدة المعروفة منه حتى الآن.

نجد نزهة الأبصار، كأحد المصادر التي تشبه رواياتها نهج البلاغة بشكل كبير، وهي مسندة في بعض الحالات، وهذا ما لهُ أهمية كبيرة من هذه الناحية، ويمكن لهذا الكتاب أيضاً أن يؤدي دوراً حاسماً بوصفه مصدراً رئيساً للبحث، لكنّه مع ذلك لم يتم الاهتمام به واستعماله كما ينبغي.

في عام ١٩٣٥، نشر جورجيو ليفي دلافيدا، المجلد الأول من فهرس المخطوطات العربية في الفاتيكان، وفي هذا الفهرس هناك مخطوطة تنتمي إلى تراث اليمن، وكتبت بخط يمني بجانب رسالتين صغيرتين في مجموعة واحدة برقم ١١٤٧، وهي مجموعة تحتوي على ١٦٠ ورقة، تم نسخها في القرن الحادي عشر الهجري، وتتضمن ثلاثة أعمال: الرسالة الأولى من الورقة الأولى إلى العاشرة فيها أشعار شعراء اليمن والحكايات، والرسالة الثانية في أربع أوراق فيها قصيدة الإمام زين العابدين عليه السلام، والرسالة الثالثة من الورقة ١٤ إلى ١٤٥ هي كتاب بعنوان نزهة الأبصار ومحاسن الآثار في حياة علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهناك بعض النواقص في النسخة، وقد كتب الناسخ في نهاية النسخة: "تم الكتاب بمنّ الله وعونه ولطفه، فله الحمد كثيراً بكرة وأصيلا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم"، توفر المكتبة المتخصصة بأمير المؤمنين علي عليه السلام في مشهد المقدسة صورة من نسخة نزهة الأبصار تحت رقم ١٣١٧١.

ويمكن الحصول على نص الكتاب المصحح بقلم المرحوم محمد باقر المحمودي من منشورات مجمع تقريب المذاهب الإسلامية، وقد تم نشر الكتاب في ٥٤٣ صفحة مع مقدمة وفهرس فني في عام ١٤٣٠ق.

سيرة المؤلف:

إنّ أبا الحسن علي بن محمد بن مهدي المامطيري

(٢٨٠-٣٦٠ق)، من علماء القرن الرابع الهجري، قد ألف كتاب نزهة الأبصار ومحاسن الآثار بهدف جمع أقوال أمير المؤمنين علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، لكنّ الواصل إلينا هو ما يخصّ أمير المؤمنين عليه السلام، وما ورد عن ابن شهرآشوب يشير إلى أنّ كتاب نزهة الأبصار لا يقتصر على أقوال الإمام علي عليه السلام فحسب، بل يشمل أهل البيت عليهم السلام أيضاً، وقد أكمل المحقق نواقص المخطوطة بمصادر أخرى، وذكر الروايات التي لم ترد في النسخة في الحواشي.

وقد زوّدنا هذا الكتاب، بالإضافة إلى مجموعة من أقوال الإمام علي، بمعلومات تاريخية قيمة عن حياته، ووفقاً لمعظم المصادر فإنّ المامطيري كان عالماً شافعي المذهب، وتلميذاً لأبي الحسن الأشعري المتكلم المعروف، ومما يؤسف له أنّ المعلومات المتعلقة به قليلة، وقد نسب ابن شهر آشوب نزهة الأبصار إلى علي بن المهدي المامطيري ووصفه بأنه زيدي المذهب، ولكنّه لم يرد ذكره في معظم الكتب الزيدية المعروفة، ووفقاً لمعظم المصادر، فانّ المامطيري كان من علماء المذهب الشافعي، وكان تلميذاً لأبي الحسن الأشعري، المتكلم العظيم.

وكان علي بن المهدي من أهمّ الرواة لكتاب "استحسان الخوض في علم الكلام" لأبي الحسن الأشعري، وكان الراوي علي بن رستم (من اسم والده يتضح أنه كان أيضاً من سكان طبرستان، لأن سكان طبرستان كانوا مغرمين بهذا الاسم) تلقى هذا النص من علي بن المهدي ومنه من الأشعري. وفي هذا الوثيقة، يؤكد الطبري أنه سمع هذا الكتاب من الأشعري شخصياً. وقد أدى ابن مهدي الطبري دوراً بالغ الأهمية في نشر الفكر الديني لأبي الحسن الأشعري، رغم أن مساهمته الظاهرة في تطوير المسائل الكلامية كانت أقل مقارنة بتلامذة الأشعري الآخرين.

كان علي بن المهدي المامطيري فقيهاً ومتكلماً ونحوياً، فضلا عن ذلك، كانت لديه معرفة بالتفسير والمعاني وأيام العرب، قيل عنه: "ما شُهِد في أيامه مثله" وقد كان يسافر لطلب العلم، ويؤلف الكتب في مختلف العلوم، وكان ينظم الشعر أيضاً، وأشعاره مبثوثة في المصادر، ويعد ابنُ إسفنديار (٦١٣ هـ) ابنَ المهدي المامطيري من تلاميذ الناصر الكبير (ت٣٠٤هـ)، إذ قال عند تقديمه لشخصيات طبرستان المشهورة: "من كبار أئمة طبرستان الذين يُعَدُّون من المفاخر، كان الإمام البارع ابن المهدي المامطيري، وقد زرتُ قبره في مامطير".

الكتاب

لقد تناولت العديدُ من الكتب دراسة النصوص السابقة لنهج البلاغة، ووجدت أجزاء مختلفة منه في النصوص القديمة، ومن بين هذه الكتب كتاب عبد الزهراء الحسيني مصادر نهج البلاغة، ولكن من النادر العثور على كتاب تمّ تصنيفه قبل نهج البلاغة على شكل ونمط نهج البلاغة، من حيث شموله لِكمٍّ كبير من أقوال الإمام علي عليه السلام، وهذا الكتاب ــ أي نزهة الأبصار ــ هو أحد هذه الأمثلة النادرة، ويتميز هذا الكتاب عن نهج البلاغة، بالإضافة إلى تقدّمه الزمني، بأن بعض رواياته مسندة.

ويشكو المؤلف في مقدمة الكتاب من ابتعاد الناس عن العلم والأدب، وجهلهم بفضائل أهل البيت عليهم السلام، ويذكر أنّ هدفه من تأليف هذا الكتاب هو نشر الأدب بعد ركوده، وقد تم تأليف هذا الكتاب بهدف جمع الأمثلة البلاغية، وهو نفس هدف الرضيّ في نهج البلاغة، بالطبع، هدفه النهائي من جمع النصوص البلاغية لأهل البيت عليهم السلام هو أن يدرك

القارئ المكانة الرفيعة والمكانة العلمية والأدبية لأهل البيت عليهم السلام.

يقول المؤلف: «إذ كانوا معدن الرسالة، ومظانّ الحكمة، و أهل بيت النبوّة، و كان شرفهم على سائر الناس كشرف الجُمَع على سائر الأيّام، و الشمس على الكواكب، و ليلة القدر على سائر الليالي، و بقعة الحرم على سائر البقاع».

ثم يشير إلى أنه يعتزم أن يورد في هذا الكتاب أخبار أمير المؤمنين علي عليه السلام وأولاده ومحاسن أقوالهم، وما تمّ تأكيد صحة انتسابه من أشعارهم، ونظراً إلى أنّ النص الموجود مخصصٌّ فقط للإمام علي عليه السلام، فمن المحتمل أنّ المامطيري لم يوفّق لإكمال الكتاب، كما يُحتمل أنّ بقية النص قد ضاع، وهناك احتمال أكبر، وهو كون هذه النسخة ناقصة، إذ نقل ابن شهر آشوب في كتابيه المناقب والمثالب مواردَ من نزهة الأبصار لا توجد في النسخة الموجودة.

يتضمن الكتاب ٣٦٢ حديثاً تم جمعها من دون ترتيب محدد، وتم تكرار بعضها أيضاً، ولا يقتصر الكتاب على نقل الحديث فحسب، بل يتضمن أيضاً بعض سلوكيات الإمام علي عليه السلام وبعض الآثار المنسوبة إليه والأحكام الدينية والحكومية، كما أن هناك عدداً من الخطب والأقوال الموجودة في نهج البلاغة لا توجد في هذا الكتاب، وقد ذكرت موضوعات هذا الكتاب من دون أي تقسيم للنص، ومن دون أي ترتيب حروفي ألفبائي أو فصل بين الخطب والكلمات القصار والحكم، بل يذكر الموضوعات من دون ضابطة محدّدة مثل: شجاعة الإمام علي عليه السلام، وصف الآخرين له، نسبه وأبناؤه، رسالته إلى مالك الأشتر، أقواله عن المعروف ومكارم الأخلاق، النصائح، المواعظ، خصائصه الفردية، ذكر بعض خطب الإمام ورسائله، الشكوى من قريش، خطبته عن خصائص المتقين، روايات مذكورة عن الإمام عليه السلام عن النساء، قول الحسن البصري عنه، شكوى الإمام عليه السلام من الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله، في فضل الحسنين عليهما السلام، عبد الله بن جعفر وزيد بن علي، فضيلة مسجد الكوفة و...

ومن أهم مميزات كتاب نزهة الأبصار أنّ بعض الروايات فيه مسندة، وأنّ المؤلف قد ذكر سبب صدور الرواية أو مخاطبها أو راويها، بمقارنة نص هذا الكتاب مع نهج البلاغة، تبين وجود تطابق جزئي أو كلي في أكثر من ٦٠ موضعاً، وتوزّعت هذه المواضع على خطب نهج البلاغة (١٧ موضعاً)، ورسائله (١٤ موضعاً)، وغرائبه (موضع واحد)، وحكمه (٣١ موضعاً)، كما ورد في نزهة الأبصار ١٠ مواضع بسندها، وموضع واحد براوِيهِ، و٦ مواضع بشأن صدورها، و٤ مواضع بمخاطبها، وموضع واحد بمخاطب مختلف، وأضاف المامطيري شرحاً لأقوال الإمام علي عليه السلام في موضعين، وفي بعض الروايات، يتطابق المعنى مع ما في نهج البلاغة ولكنّ العبارات والنصوص الروائية في نزهة الأبصار أكثر اكتمالاً من تلك الواردة في نهج البلاغة.

الخاتمة:

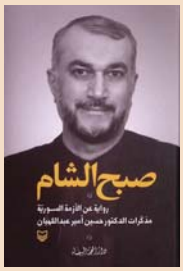
يتميّز كتاب نزهة الأبصار بأهمية خاصة من حيث قدّمه ومحتواه، ومن حيث إنّه لم تكتشف منه إلّا نسخة خطية واحدة حتى الآن، وقد تم التعرف على هذا الكتاب منذ حوالي عقدين، وبعد مدة قصيرة تم تصحيحه ونشره بناءً على نسخة خطية من مكتبة الفاتيكان، وعلى الرغم من مرور بعض الوقت على تصحيحه ونشره، إلّا أنّه ما يزال مهملاً وغير مستعمل بشكل كبير في الأبحاث العلوية.

أبرز الكتب والإصدارات التي وصلت إلى مكتبة الروضة الحيدرية المطهرة

تصل تباعاً إلى مكتبة الروضة الحيدرية المطهرة مئات العنوانات شهريًا في مختلف المواضيع العلمية والإنسانية والتأريخية والدراسات والبحوث وكلها تحتوي على العديد من المصادر والمراجع في اتجاهات مختلفة ، لتكون منهلاً مهماً للقراء والباحثين، وفي هذا الباب ندرج عدداً من الكتب المهمة التي وصلت الى المكتبة هذا الشهر.



العنوان: المدرسة و تحقيق الأمن التربوي
المؤلف: اميرة عبدالسلام زايد
الناشر: دار الجديد
مكان وجود الكتاب: ٣٣ ٣ i٤٣



العنوان: صبح الشام : رواية عن الأزمة السورية
المؤلف: حسين امير عبداللهيان
الناشر: دار المحجة البيضاء
مكان وجود الكتاب: ٢١٨ ٥٠c



العنوان: التنظيم القانوني لضمان البطالة في العراق : دراسة مقارنة
المؤلف: مروى عبدالواحد حسن، فراس عبد الرزاق
الناشر: المركز العربي للدراسات
مكان وجود الكتاب: ٦٤١ ٧٧L



العنوان: التنفيذ الجبري للإحكام الابتدائية
المؤلف: ابراهيم كمال دويدار
الناشر: المركز القومي للإصدارات القانونية
مكان وجود الكتاب: ٦٣٢ ٧٧m



العنوان: التبليغات الالكترونية للقرارات القضائية (دراسة مقارنة)
المؤلف: مصطفى عبد علي جنزيل
الناشر: دار هاتريك
مكان وجود الكتاب: ٣٣ ٤ ٧٨



العنوان: المسؤولية المدنية التقصيرية الناتجة عن الإخلال بعقود الخدمة النفطية : دراسة مقارنة
المؤلف: سعد حمزة ناصح المعموري
الناشر: المركز العربي للدراسات والبحوث العلمية
مكان وجود الكتاب: ٣٤ صفر ٧٧c



العنوان: تحديات القانون الدولي الإنساني: الشركات العسكرية و الامنية الخاصة انموذجاً
المؤلف: حامد محمد علي البلداوي
الناشر: المركز العربي للدراسات والبحوث العلمية
مكان وجود الكتاب: ٣٣ ٦ ٧٧f



العنوان: القيادة السياسية و بناء السلام في المجتمعات التعددية: دراسة ابستمولوجية تطبيقية
المؤلف: شهد غالب علي
الناشر: الدار البابلية للدراسات
مكان وجود الكتاب: ٢٤ صفر ٧٩n



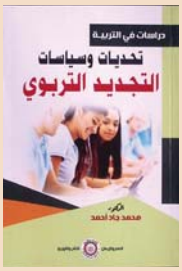
العنوان: تقنيات الحدس العلمي الموجه
المؤلف: خير شواهين
الناشر: عالم الكتب الحديث
مكان وجود الكتاب: ٧ ٥ ٤٣j



العنوان: السياسة الثقافية للعاطفة
المؤلف: سارة أحمد
الناشر: دار نينوى للدراسات
مكان وجود الكتاب: ١٨ ٧٦f



العنوان: الاحتراق النفسي و استراتيجيات مواجهته
المؤلف: مختار بوفرة
الناشر: دار اسامة
مكان وجود الكتاب: ٣٠ ١ ٤٢g



العنوان: تحديات و سياسات التجديد التربوي
المؤلف: محمد جاد احمد
الناشر: دار العلم و الايمان
مكان وجود الكتاب: ٣٤ ٣ ٤٣i



العنوان: مقتطفات من إعجاز القرآن الكريم
المؤلف: محمد باقر المنصوري
الناشر: مؤسسة البلاغ
مكان وجود الكتاب: ٢٧ ٥ ٥



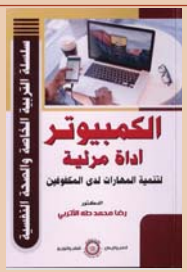
العنوان: شرق الاندلس خلال عصري المرابطين و الموحدين : دراسة في احوال الاقليم الحضارية
المؤلف: بلقاسم بواشرية
الناشر: دار الايام
مكان وجود الكتاب: ١٦ ٢ ٥٠c



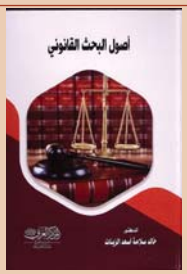
العنوان: ثقافة الصحة النفسية في العصر الرقمي
المؤلف: عصام نجيب الفقهاء
الناشر: المؤسسة العربية للدراسات
مكان وجود الكتاب: ١ ١ ٧٦f



العنوان: تصحيح دور السياسة الجنائية الدولية في مكافحة جرائم الذكاء الاصطناعي
المؤلف: عمار حسين ترف المسعودي
الناشر: دار هاتريك
مكان وجود الكتاب: ٣٠ ٣ ٧٧s



العنوان: الكمبيوتر أداة مرئية لتنمية المهارات لدى المكفوفين
المؤلف: رضا محمد طه الأتربي
الناشر: دار العلم و الأيمان
مكان وجود الكتاب: ٢٣ ١ ٤٢i



العنوان: أصول البحث القانوني
المؤلف: خالد سلامة أسعد الزينات
الناشر: المركز العربي للدراسات والبحوث العلمية
مكان وجود الكتاب: ٣٩ ٦ ٧٧f



العنوان: الحماية المدنية للمصنفات الرقمية: دراسة مقارنة
المؤلف: أنسام عوني رشيد النعيمي
الناشر: دار هاتريك
مكان وجود الكتاب: ٣٢ ٤ ٧٨



العنوان: **التطبيق المؤقت للمعاهدات الدولية**
المؤلف: وادي حسين موسى
الناشر: المركز العربي للدراسات والبحوث العلمية
مكان وجود الكتاب: ٣٦ ٦ ٧٧L



العنوان: الاسلام و الجنسانية والديمقراطية من منظور مقارن
المؤلف: جوسيلين سيزاري
الناشر: مؤمنون بلا حدود
مكان وجود الكتاب: ٦ ١ ٧٦f



العنوان: عقد العمل عبر المنصات الرقمية : دراسة تحليلية في ضوء الانظمة التشريعية و الاتجاهات القضائية الحديثة مع مقترح تعديل قانون العمل العراقي
المؤلف: علي شاكر عبدالقادر البدري
الناشر: دار هاتريك
مكان وجود الكتاب: ٣١ ٤ ٧٨



العنوان: ليس من هذا العالم
المؤلف: عاهد الحمامي
الناشر: دار ماشكي
مكان وجود الكتاب: ٥٤ ٤ ٥٠c



العنوان: **الادارة الاستراتيجية لنظم المعلومات : بناء الاستراتيجية الرقمية**
المؤلف: جو بيبارد
الناشر: مركز البحوث و الدراسات
مكان وجود الكتاب: ١٠ ٤ ٧٥u

شؤون دولية

- التلاعب بالوعي الجمعي وأثره في السلم الإجتماعي
- مقاربة تشريعية وحماية قانونية

الباحث قصي كامل ضاحي
الديوانية



التلاعب بالوعي الجمعي وأثره في السلم الإجتماعي - مقاربة تشريعية وحماية قانونية

الباحث قصي كامل ضاحي
الديوانية

يشهد العالم المعاصر تحولات فكرية وثقافية متسارعة، تركت أثرًا بالغًا في البنى الاجتماعية، ولا سيما في المجتمعات الإسلامية، التي تتعرض لموجات من الخطاب الموجَّه القائم على إعادة تشكيل الوعي الديني وإضعاف منظومة القيم الراسخة، عبر أدوات ناعمة، يصعب اكتشافها أو ضبطها قانونًا.

هذا النمط من التأثيرات، الذي يمكن وصفه بـ"التلاعب بالوعي الجمعي"، يمثّل تحديًا مركزيًا أمام الحفاظ على الهوية الثقافية والدينية للمجتمع، خصوصًا مع محدودية الأطر التشريعية التي تعالج هذه الظاهرة، بوصفها جريمة تمس الأمن الفكري والسلم الاجتماعي بشكل عام، يفتح هذا المقال نافذة على تحليل البعد القانوني لهذه الإشكالية مستعرضًا مدى قدرة التشريعات على حماية الوعي الجمعي وايضا حماية السلم المجتمعي عن طريق فرض عقوبات على كل من يحاول المساس بأمن وسلامة المجتمع بشكل عام، وذلك بمحاربة الفجوات التي تسمح للخطاب المضلِّل بالانتشار من دون مساءلة.

وذلك لتقديم مقاربة مستندة إلى مبادئ الشريعة الإسلامية، التي نادت بحماية المجتمع، مرتكزة على النصوص القرآنية، فقد جاء في كتاب الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦] وأيضاً سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وتراث أهل البيت عليهم السلام، وخصوصًا تعاليم الإمام علي عليه السلام، بما يعزز مناعة المجتمع، ويؤسس لإطار قانوني معاصر قادر على حماية الهوية الدينية من العبث المنظّم، فقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام ((الناس أعداء ما جهلوا))[١] في إشارة إلى أهمية التوجيه والمعرفة كوسيلة لحماية المجتمع من التضليل الفكري، الذي يتسبب في تصدع العلاقات الاجتماعية، ويهدد السلم المجتمعي.

أولًا: مفهوم الوعي الجمعي:

الوعي الجمعي هو أي فعل منظّم يستهدف التأثير في أفكار الجماعة واتجاهاتها، أو إعادة تشكيل منظومتها القيمية والدينية والثقافية عبر أدوات إعلامية وثقافية ونفسية، توظّف التضليل والإخفاء المتعمّد للمعلومة أو التوجيه غير المحايد، ويرتبط مفهوم الوعي الجمعي بقدرة الأفراد على إدراك الروابط الإجتماعية، التي تجمعهم، وفهم التجارب المشتركة، التي تصوغ هويتهم، بحيث ينمو هذا الإدراك ليحفّزهم على المشاركة في مسؤولية النهوض بمجتمعهم وصيانة منظومة قيمه[٢].

ويُترجم الوعي الجمعي في الأدبيات الاجتماعية أيضاً بمفهوم الضمير الجمعي، وهو مفهوم ارتبط بعالم الاجتماع إميل دوركايم، الذي عرّفه بأنه "مجموعة المعتقدات والمشاعر المشتركة بين أفراد المجتمع الاعتياديين، التي تشكّل النسق المحدّد لحياتهم"[٣].

وقد احتل هذا المفهوم موقعاً محورياً في أعماله الأولى، خصوصاً في كتاب تقسيم العمل الاجتماعي، حيث اعتبره خاصية واضحة في المجتمعات التقليدية ذات التضامن الآلي[٤].

ثانيًا: العلاقة بين الهوية الدينية والتشريع.

الهوية الدينية في المجتمع الإسلامي ليست مفهومًا ثقافيًا مجردًا، بل هي إطار ينظّم السلوك العام، ويضبط العلاقات الاجتماعية، ويؤسس لنسق القيم، الذي تستقي منه الدولة والمجتمع معايير الأخلاق والاستقامة. ومن ثَمّ فإن المساس بهذه الهوية يُعدّ مساسًا بالبنية التشريعية نفسها؛ لأنها تستند في أصلها إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة وتراث أهل البيت عليهم السلام، وقد أكد الإسلام ضرورة حماية الوعي من التضليل، كما يظهر في الآيات التي تحذّر من "القول بغير علم"، و"اتباع الظن"، و"تلبيس الحق بالباطل". أما تراث أهل البيت عليهم السلام فيقدّم أنموذجًا واضحًا في ضرورة صيانة العقل من التضليل، باعتباره موضع التكليف ومحور المعرفة، من هنا تتعزز الحاجة إلى إطار قانوني يعالج التلاعب بالوعي لا بوصفه ممارسة إعلامية، بل بوصفه ممارسة تُهدد الأمن الروحي والقيمي للمجتمع.

ثالثًا: السياسة الجنائية في منع المساس بالوعي الديني وحماية السلم الاجتماعي.

رغم أن معظم التشريعات العربية والإسلامية تناولت حماية الدين، عبر نصوص تجرّم الإساءة للثوابت الدينية، أو ازدراء المقدسات، إلا أنها لم تعالج بصورة واضحة الممارسات غير المباشرة، التي تستهدف وعي المجتمع عبر أساليب ناعمة، منها نشر خطاب ثقافي يضعف الانتماء إلى القيم الدينية، وتسويق نماذج سلوكية تتعارض مع الهوية الإسلامية، تحت شعار الحرية الفردية، وبث محتوى إعلامي يقدّم بدائل فكرية، تفتقر إلى الموضوعية، وتعتمد الإثارة أو التشويه، واستهداف المرأة والشباب، بإعادة تشكيل الهوية تحت تأثير رموز إعلامية أو منصات رقمية

هذه الممارسات عادةً لا تُجرّم، لأنها لا تقع تحت

عنوان "الإساءة المباشرة"، بل تحت تأثيرات تراكمية يصعب قياسها، مما يفتح الباب أمام ثغرة قانونية واسعة، ولكن بالمقابل نجد ان القانون الجنائي العراقي اي قانون العقوبات رقم (١١١) لسنة (١٩٦٩) المعدل قد وضع عقوبات لبعض التصرفات، التي قد تصدر من البعض بقصد ترويج محتوى يمهد لفكرة غايتها تشويه الوعي الديني، أو تنتقص منه بطريقة مباشرة، وبوّبها في مواد قانونية، فقد نصّ على الحبس بمدة لا تزيد على ثلاث سنوات، أو الغرامة، لكل من اعتدى بأية وسيلة من طرق العلانية على معتقد لأية طائفة من الطوائف، أو تعمد التشويش على إقامة شعائر طائفة دينية، أو نشر أفكار تهدف إلى إهانة معتقدات طائفة معينة... وما إلى ذلك[٥].

كما أنّ نشر الأخبار الكاذبة، بقصد إثارة الفوضى أو إحداث بلبلة في المجتمع، يُعَدّ من الأفعال التي التفت إليها قانون العقوبات العراقي، وعدها تهديداً مباشراً للسلم الأهلي والوعي العام.

فالقانون يجرّم تعمّد بث معلومات غير صحيحة، أو الترويج لوقائع مختلقة من شأنها زرع الخوف بين الناس، أو الإضرار بالثقة العامة بالمؤسسات، أو الإخلال بالنظام العام.

وقد وضع المشرّع عقوبات واضحة لهذا السلوك، تُرتّب مسؤولية جزائية على كل من ينشر أو يروّج أخباراً كاذبة، تؤدي إلى اضطراب الأمن أو إثارة الذعر أو إضعاف الروح العامة[٦]، ولم يقف المشرّع عند هذا الحد، بل عاقب أيضاً على الأفعال التي تُخلّ بالحياء أو الآداب العامة، لما لها من أثر في زعزعة القيم المجتمعية وإثارة الاضطراب، وتُضعف الوعي الاجتماعي، وقد نصّ على ذلك ضمن أحكام قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ المعدّل[٧].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحملات الإعلامية التي تستهدف شخصيات أو رموزاً دينية، أو تمسّ مكوّنات اجتماعية معيّنة، لا تُطبَّق عليها مواد نشر الأخبار الكاذبة نفسها، بل تخضع لمواد أخرى من قانون العقوبات، تُعنى بحماية الرموز الدينية، والمقدسات، والوئام الاجتماعي.

فالمشرّع يميّز بين الأخبار الكاذبة، التي تثير الهلع، وبين الخطاب الموجَّه الذي يمسّ الهوية الدينية، أو يحرّض على الكراهية، ويمنح لكلٍ منها إطاراً عقابياً خاصاً.

وتأتي هذه المواد لضبط الخطاب المتعمّد، الذي يثير النعرات الطائفية، أو يهدّد التعايش، أو ينتقص من الجماعات الدينية والاجتماعية، بوصفه سلوكاً يمسّ الأمن المجتمعي بشكل مباشر، ولهذا خصّص لها القانون أبواباً منفصلة، تتعامل مع الإساءة للمعتقدات، أو التحريض الطائفي، أو التعدّي على الشعائر والرموز، بوصفها جرائم ذات طبيعة مختلفة وأشد حساسية، أو أي شخص، يقوم بنشر أسرار خاصة، تتعلق بأفراد او أُسر، حتى وإن كانت صحيحة، حماية للأمن المجتمعي[٨].

---

١. ظ: نهج البلاغة، خطبة ١٢٢: ١٣٤، جاء في هذه الخطبة قول الإمام علي عليه السلام: "الناس أعداء ما جهلوا"، وهي تعكس أهمية نشر المعرفة والتوجيه لمنع تضليل المجتمع وحماية وعيه وقيمه

٢. علي السعيدي، بنية الوعي الجمعي في المجتمعات العربية: ٤٥-٤٦.

٣. إميل دوركايم، تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة: محمد عبدالهادي: ٣١٢.

٤. سيمور-سميث، ش، (٢٠٠٩)، موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجيّة، (مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، مترجم): ٣٦٩-٣٧٠.

٥. ظ: المادة (٣٧٢) من قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ المعدل .

٦. المادة (٢١٠) من قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ المعدل .

٧. المادة (٤٠٣) من القانون نفسه .

٨. المواد (٤٣٤ــ٤٣٨) من القانون نفسه .



تسميم العقول

لقد أدركت الولايات المتحدة، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، أهمية قطاع الإعلام والاتصال للسيطرة على (مجتمع الإعلام) الذي سوف يكون كما يقال مجتمع القرن القادم، وقد حاولت أن تتدخل مالياً وسياسياً ودبلوماسياً في هذا القطاع، الذي تعده استراتيجياً للحفاظ على نفوذها في العالم.

إن استعمال وسائل الإعلام في الحرب النفسية – السياسية بديهة أميركية، مثلاً في العام ١٩٨٦ وضع مجلس الأمن القومي الأميركي خطة لإسقاط الرئيس الليبي معمر القذافي، كان من أسسها التوفيق بين الحوادث الخيالية والحوادث الحقيقية، التي تقع بالفعل وذلك لإيهام القيادة الليبية بأن النظام يتداعى، ثانياً لدفع الرئيس الليبي إلى التحرك بهلع ورد فعل عصبي، يبرر استعمال القوة العسكرية الأميركية ضده.

وبموجب ذلك عهد إلى وكالة المخابرات المركزية (وليم كايسي) في نشر معلومات وأخبار كاذبة في الصحافة الدولية عن الأوضاع في ليبيا، كما عهد إلى وزارة الخارجية (أيام جورج شولتز) الترويج لهذه الأخبار عن طريق التعامل معها بجدية.

فصحيفة (وول ستريت جورنال) الأميركية كانت أداة الترويج لهذه الأخبار (محاولة الانقلاب على النظام – العمليات الإرهابية– الاستعداد الأميركي للتدخل العسكري – القواعد السوفياتية في ليبيا.

أما في العلم العسكري فهناك ما يسمى (برنامج تسميم عقل العدو)، يبدأ هذا البرنامج بالحيلة التكتيكية البسيطة ليصل إلى برنامج ضخم هدفه (بث الشعور بالخيبة)، أو (تعميم الإحباط) في صفوف العدو، أو (نشر الأخبار الكاذبة)، أو إثارة (أزمة ثقة) في السلطات الحاكمة.

ويتعدى برنامج (التسميم) هذا النطاق العسكري، ليحتل مركز الصدارة بين أسلحة التجسس الفتاكة في المجالات السياسية والديبلوماسية والاقتصادية والتربوية.

إن أداة التسميم هذه هي جميع وسائل الاتصالات والإعلام القادرة على توجيه العقول باتجاه فكري محدّد، يفيد الذي (يسمّم) ويضر الذين (يتسمّمون).

فأسلوبه، عمليات بطيئة تنفذ بمهارة ماكرة، تعتمد على تركيز فكرة معينة في ذهن قيادة عسكرية، أو سلطة أو فريق سياسي، أو جزء من الرأي العام[١].

١– عبد الحليم حمود، كواليس الدعاية الأميركية: ٤١.

الشرق والغرب

- **القدرات الثقافية والدينية لأربعينية الإمام الحسين عليه السلام في النظام العالمي الجديد**

الباحث الشيخ نعيم حسيني
الحوزة العلمية- قم المقدسة

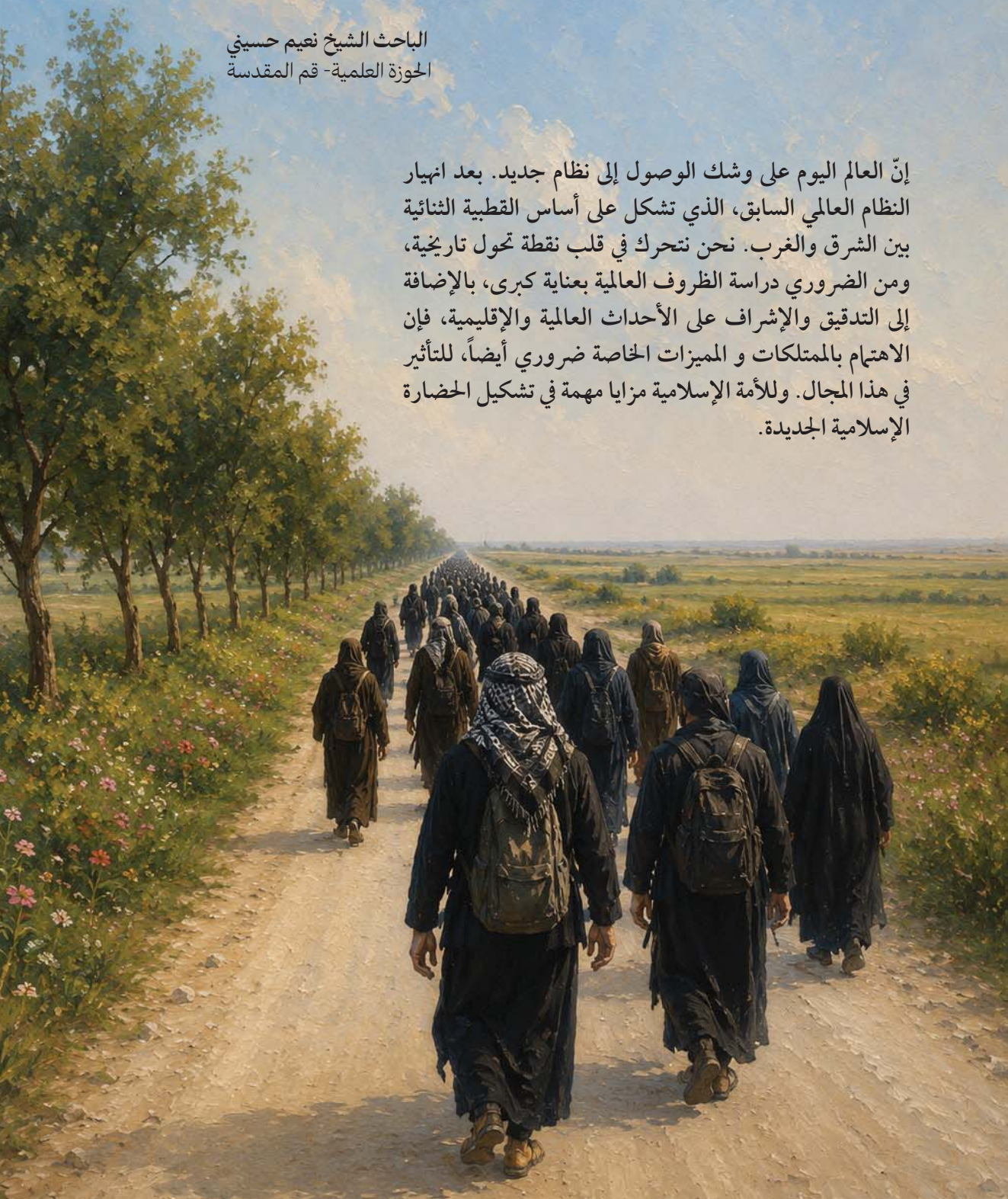
- **الخلافة بعد النبي قراءة غربية تنصف أمير المؤمنين عليه السلام**

الباحث مصطفى الحسيني
العتبة الحسينية المقدسة

القدرات الثقافية والدينية لأربعينية الإمام الحسين عليه السلام في النظام العالمي الجديد

الباحث الشيخ نعيم حسيني
الحوزة العلمية- قم المقدسة

إنّ العالم اليوم على وشك الوصول إلى نظام جديد. بعد انهيار النظام العالمي السابق، الذي تشكل على أساس القطبية الثنائية بين الشرق والغرب. نحن نتحرك في قلب نقطة تحول تاريخية، ومن الضروري دراسة الظروف العالمية بعناية كبرى، بالإضافة إلى التدقيق والإشراف على الأحداث العالمية والإقليمية، فإن الاهتمام بالممتلكات و المميزات الخاصة ضروري أيضاً، للتأثير في هذا المجال. وللأمة الإسلامية مزايا مهمة في تشكيل الحضارة الإسلامية الجديدة.



إنّ الحضارات لها نطاق عالمي، يجب أن تكون خصائص الثقافة التي تدّعي بناء الحضارة بشكل يمكن تحقيقها و تعيّنها في مختلف الأعصر والأمصار، بين مختلف الأمم والأقوام والأعراق. اليوم، لا تنتمي الحضارة الغربية إلى بلد واحد فحسب، فالألمان والإنجليز والأمريكيون والفرنسيون وغيرهم يدعونها جميعاً. الحضارة الإسلامية هكذا. الحضارة الإسلامية أيضاً غير محدودة بالجغرافيا وهي واسعة جداً. يمكن رؤية هذه المدعى في مواكب الأربعين. لغات مختلفة، أعراق مختلفة ... وما إلى ذلك[1] هذه هي النقطة التي تطالب بها المرجعية الدينية من نشطاء الأربعين كإستراتيجية مهمة.

بسبب حضور الحشد الكبير من الزوار غير العراقيين يمكن القول أن مسيرة الأربعين ليست مسيرة وطنية. بالإضافة إلى التنوع القومي، نشهد أيضاً تنوعاً دينياً في هذا المؤتمر. بالإضافة إلى الوجود المحدود لأشخاص من المسيحية واليهودية، فإن مقدار حضور ومشاركة الإخوة السنة كبير أيضاً. أجواء هذا التجمع من النوع الذي لا يمنع أي طبقة من المشاركة في هذه المسيرة. هذا يدل على أن الأربعينية يمكن أن ترتبط بثقافات أخرى. إذن، الحضارة الإسلامية – التي إحدى مظاهرها في المجتمع الحديث هي الأربعينية- لديها القدرة على الارتباط بكل شيء.[2] ويمكن لأية مجموعة أن تصبح جزءاً من الأجواء الثقافية لهذا الحدث بحسب علاقتها. الأمر الذي سيؤثر على الحاضر فيه والمشارِك تدريجياً و يعرّفه تعاليم أهل البيت والإسلام.

بالإضافة إلى النطاق الجغرافي للمشاركين في الأربعينية، فإن حجم الأنشطة يستحق النظر أيضاً. كمية وجبات الطعام والضيافة، عدد المراسيم المقامة، كمية خلق مساحة البيئة السمعية والبصرية، كمية الأغذية المستعملة، كمية الأكواب الورقية... و ما شابه ذلك، كمية عملية الغسل للأغراض المستعملة، كمية البنية التحتية مثل المرافق الصحية والحمامات، ومثل هذه الأمور لعدد عشرين مليون زائر في منطقة جغرافية واحدة تظهر لنا أعداد كبيرة جداً. تقدر كمية استعمال الأكواب الورقية المستعملة بما يقارب مليار واحد! تُظهر دقة هذه الميزة وطريقة ظهورها –التي سنذكرها لاحقاً– قدرة كبيرة على إنشاء أحداث على المستوى العالمي.

المحورية القدسية للإمام

نحن بصدد بناء الأمّة الإسلامية وهذه الأمّة تريد إماماً. إذا تم بناء أمة، فإن أحد أركانها هو تكوين جمع من المهاجرين وهجرتهم إلى الإمام. الزيارة والهجرة إلى الإمام تجديدٌ للعهد مع الإمام، ومن أركان بناء الأمّة وتتشكل فيهما ثقافة الأمّة الإسلامية[3]، الحضارة الإسلامية لها مركز قدسي. المركز المقدس في مسيرة الأربعين هو الإمام الحسين عليه السلام. الناس يمشون إلى جهة الإمام الحسين عليه السلام. يذهبون للدخول في مدينة كربلاء ويقرؤون الزيارة و يسلّمون على الإمام. إنهم لا يسيرون للمشي أو التسلق إلى الجبال مثلاً، نهاية المسيرة هو مكانٌ قدسيٌ. لذلك، في الطريق، إذا أعطوا الماء والطعام، فهو للإمام الحسين عليه السلام، وكل ما يفعلونه هو في سبيل الإمام الحسين عليه السلام. تظهر هذه القداسة في كل ذلك[4].

لقد شهد الكاتب نفسه مرات عديدة هذه الحقيقة، وهي أن العديد من الأنشطة التي قد يقوم بها الشخص تجاه أحبائه بصعوبة، يقوم بها أصحاب

المواكب تجاه الزائرين. تدليك العضلات المتعبة، استعمال المراهم لتخفيف الآلام، علاج تقرحات الرِجل، الالتماس والإلحاح للضيافة أو الحضور والاستراحة في البيوت أو المواكب، كلها بقصد خدمة زوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام وطلباً للبركة في الحياة. في الأربعينية، يتم تحديد هوية كل شخص بنسبته مع الإمام؛ الناس إما زائر أو خادم، وكلا هذين اللقبين عين الربط بالإمام.

بناءً على هذه الأرضية، يمكن إنشاء التفاعلات الإنسانية وتوسيعها بسهولة. عادةً التواصل مع شخص مجهول أمر صعب ومعقد، لكن في الأربعينية تتشكل صداقات وأخوّات كثيرة بين المؤمنين على أساس محبة الإمام. يمكن أن تصبح هذه العلاقات تمهيداً للحوار بين الثقافات، وهو آلية جادة ومؤثرة لاكتساب الوعي بالتنوع الثقافي، ونقل المفاهيم وتبادلها وقرب الثقافات[٥] هذه المواجهة هي بالضبط أمام ما في الحضارة الغربية. تلك الحضارة تجرد العالم من قدسيتها وهذه الحضارة، في شكل ثقافة اجتماعية عظيمة على شكل مسيرات ومظاهرات –وهي في حد ذاتها شيء جديد– تُظهر القداسة. هذه القدرة الخاصة للأربعينية الحسينية يمكن أن تمتد إلى مجالات أخرى من حياة الإنسان.

الخاتمة

إنّ مسيرة الأربعينية هي أكبر تجمع في العالم على محور الحب الحسيني، تمثل تشكيل الكرامة الإسلامية، وهي الآية الإلهية العظمى. هذه الظاهرة الروحية المليئة بمعاني الإيمان الخالصة تزوّد الأمّة الإسلامية بقدرات مهمة لتؤدي دوراً في النظام العالمي الجديد. إن الظهور وتجسيد العقلانية الإيمانية الوحيانية، تجربة حدث عظيم كبير خارج الحدود الإقليمية وعابر للحدود على محور مسألة مقدسة أي الإمام المعصوم، هو أحد القدرات الجادة الباني للحضارة في الأربعينية.

يحاولون المنع لهذه الأضواء القوية في العالم، لكنهم لا يستطيعون. فستتم رؤيتها. يحاولون تشويهها، لكن لا يؤثرون، ولا يقدرون على أي شيء. إن شاء الله تعالى.

---

(١) https://farsi.khamenei.ir/others-dialog?id=٤٣٧٠٢

(٢) مقابلة مع الدكتور موسى نجفي.

(٣) مجمع مشعر الإيماني: ٣٥.

(٤) الدكتور النجفي.

(٥) المجلة النصف سنوية العلمية البحثية دين و سياست فرهنگی: ٩/ ١٢٧-١٢٨.

الخلافة بعد النبي
قراءة غربية تنصف أمير المؤمنين عليه السلام

الباحث مصطفى الحسيني
العتبة الحسينية المقدسة



لم يكن الانشقاق الحاصل بسبب الخلافة بعد استشهاد النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، مجرد نزاع سياسي عابر على منصب إداري في دولة ناشئة، بل كان كما يصفه المستشرق الألماني البارز "ويلفرد مادلونغ **Wilferd Madelung**" (١٩٣٠ – ٢٠٢٣م)، بـ "الحدث الأعمق أثراً في تشكيل التأريخ الإسلامي، والانقسام الأكثر دواماً بين السنّة والشيعة"، فمسألة الخلافة لم تكن، في نظره، شأناً سياسياً فحسب، بل قضية ذات وزن ديني وعقدي، لأن من يخلف خاتم الأنبياء والمرسلين في قيادة الأمّة لا يشغل منصباً زمنياً عادياً، بل يحتل موقعاً بالغ الحساسية في المنظومة الإسلامية، بين النبوة والسلطة، وبين النص والاجتهاد، وبين الشرعية والواقع.

ففي كتابه الشهير "خلافة محمد The Succession to Muhammad"، الذي عُدّ من أهم الدراسات الغربية المعاصرة في موضوع الخلافة، لم يكتفِ مادلونغ بإعادة سرد الأحداث، بل قدّم مراجعة جذرية للسردية الغربية التقليدية، حيث يتناول "مادلونغ" طرحاً مختلفاً عن هذه السردية، إذ يعيد لحق الى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الخلافة، ويرى أن تجاهل هذا الحق المبين انذاك، كان بداية التحول السياسي الأكبر في الإسلام.

يبدأ "مادلونغ" كتابه بعبارة حاسمة يقول فيها: أنه "لا يوجد حدث في التأريخ الإسلامي قد تسبب بانقسام المسلمين بعمق واستمرار مثل مسألة الخلافة بعد النبي محمد"، مؤكداً أنّ الحق في شغل منصب الرسول على رأس الأمّة الإسلامية بعد وفاته أصبح قضية دينية كبرى، ما تزال آثارها ممتدة حتى وقتنا الحاضر [1]، من هنا يرفض الكاتب الرأي الشائع لدى عدد من المستشرقين الذين اعتبروا أنّ الخلاف بين المسلمين لم ينشأ إلا لاحقاً، وأنّ فكرة أحقية أمير المؤمنين عليه السلام إنما صُنعت بعد وفاته، لا في لحظة السقيفة نفسها.

كما ينقل المؤلف عن كثير من المؤرخين الغربيين افتراضهم أن اختيار أبي بكر كان "الاختيار الطبيعي" بحسب وصفهم، نظراً لاعتمادهم على السرديات السنيّة التي تزعم أنه أقرب الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وآله، وأكثرهم حضوراً خلال مجريات إدارة الدولة، لكن "مادلونغ" يتوقف أمام هذا الافتراض، ليعرض سؤالاً جوهرياً، فيما إذا كان من الطبيعي في مجتمع قبلي عربي شديد الحساسية للنسب والقرابة، أن تنتقل القيادة العليا إلى مجرد "صحابي" لا إلى أقرب أهل البيت نسباً ومكانة؟ مع إشارته إلى أنّ نظام الوراثة والقرابة كان شعاراً معروفاً في تقاليد العرب، لا أمراً "مستهجناً" كما حاول بعض الباحثين تصويره.

ويرى الباحث الألماني البارز أنّ هذا التصور الغربي قد تأثر كثيراً بالنظرة الحديثة إلى السلطة، حيث يمكن أن يخلف "المساعد الأقرب" رئيسه بسهولة، كما يحدث في الشركات أو الأحزاب السياسية، لكن هذا المنطق لا ينطبق على مجتمع القرن السابع الميلادي، إذ كانت الزعامة ترتبط بالنسب الشريف والانتماء الأسري ارتباطاً وثيقاً، لذلك يصرّح بوضوح أن الوراثة لم تكن مفهوماً غريباً عن العرب، بل كانت معروفة ومعتبرة، خصوصاً في قبيلة قريش العريقة، وأن الادعاء بأن العرب كانوا يرفضون المبدأ الوراثي مطلقاً، لا يصمد إزاء الفحص التأريخي [2].

ويذهب "مادلونغ" الى أبعد من ذلك، حين يستند إلى القرآن الكريم نفسه، موضحاً أن الأنبياء والرسل السابقين عليهم السلام، كانوا يُورِّثون القيادة الروحية والاجتماعية داخل أسرهم، معتبراً أنّ فهم موقف النبي من الخلافة لا يمكن أنّ يتم بعيداً عن المنظور القرآني، فالقرآن ـ وإن لم ينص صراحة على اسم الخليفة بعد النبي ـ إلا أنه يقدّم تصوراً واضحاً عن وراثة الأنبياء وامتداد القيادة داخل بيوتهم، كما أن الكتاب الحكيم، في أكثر من موضع، قد منح أهل بيت النبي عليهم السلام، منزلةً خاصة، بل جعل لهم موقعاً متميزاً في الطهارة والولاية والقرابة، لا نجدها في سائر الناس، كما في آية التطهير ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[الأحزاب:٣٣]، كما أن تخصيص بني هاشم ومن يرتبط بهم من آل عبد المطلب بنصيب من الخمس، وتحريم الصدقة عليهم، لم يكن إجراءً

مالياً فحسب، بل دلالة على منزلة خاصة مرتبطة بالاصطفاء والشرف الروحي، من هنا يصرّح "مادلونغ" بعبارة لافتة مفادها: أنه "من الواضح أن النبي لم يكن يمكن أن يعد أبا بكر خليفته الطبيعي" [٣]، مضيفاً أن منطق القرآن يجعل خلافة أهل البيت عليهم السلام أقرب إلى النسق الإلهي في تاريخ النبوات.

ويضرب "مادلونغ" في هذا الإطار أمثلة عديدة، فالنبي إبراهيم عليه السلام حين جعله الله للناس إماماً، سأل مباشرة: "ومن ذريتي؟"، فجاءه الجواب الإلهي: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤)، مما يدل وبما لا يدع مجالاً للشك على أنّ الأصل في الامتداد القيادي هو الذرية الصالحة، وكذلك ورث سليمان داود، لا في المال فقط، بل في الملك والحكمة والحكم، وكان موسى قد دعا الله أن يجعل أخاه هارون شريكاً له في الأمر، وزكريا سأل ربه وارثاً من آل يعقوب، فهذه النماذج القرآنية ـ بحسب مادلونغ ـ تجعل انتقال القيادة داخل بيت النبوة أمراً أقرب إلى السنّة الإلهية من انتقالها إلى شخص خارج هذا البيت المبارك.

من هنا يصبح السؤال أكثر حساسية، أنّه إذا كان هذا هو المنطق القرآني، فلماذا لم تنتقل الخلافة إلى الإمام علي عليه السلام، وهو ابن عم النبي، وصهره، وأول المؤمنين من الرجال، وصاحب السابقة الكبرى في الإسلام؟، لينتقل منها "مادلونغ" في كتابه إلى لحظة السقيفة، فيصفها بأنها "لم تكن شورى مكتملة، بل اجتماع طارئ، حُسم على عجل، في غياب أهم الأطراف المعنية"، فالرسول لم يكن قد دُفن بعد، وكان علي وبنو هاشم منشغلين بتجهيزه ودفنه، بينما اجتمع بعض الأنصار في سقيفة بني ساعدة للتداول بشأن السلطة، ثم لحق بهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، وانتهى الأمر ببيعة سريعة غيّرت مسار التأريخ الإسلامي كله.

ويذكّر المؤلف أن عمر نفسه وصف بيعة أبي بكر لاحقاً بأنها "فلتة"، أي أمر مفاجئ غير مخطط له ضمن شورى عامة، محذّراً من تكرار مثلها [٤]، وهذا الاعتراف ـ بحسب مادلونغ ـ هو أكثر من كافٍ لإسقاط صورة "الإجماع الهادئ" التي حاولت بعض الروايات عبثاً ترسيخها، بل أن الأنصار أنفسهم لم يكونوا موحدين حول النتيجة، إذ ينقل المؤلف أنّ بعضهم قال صراحة: "لا نبايع إلا علياً"، وهو ما يكشف عن أن فكرة أحقية الإمام علي عليه السلام لم تكن اختراعاً شيعياً متأخراً، بل موقف حاضر منذ اللحظة الأولى بعد وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

أما بنو هاشم، فقد رفضوا الاعتراف الفوري بخلافة أبي بكر، وانصرفوا إلى دفن النبي صلى الله عليه وآله بعيداً عن المشهد السياسي الجديد، في موقف يحمل دلالة رمزية عميقة، فقد دُفن خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله من دون حضور الخليفة الجديد وابنته عائشة، كما يشير "مادلونغ"، مما يدل على حجم التوتر الكامن بين السلطة الجديدة وبيت النبوة [٥].

كما لم يبايع أمير المؤمنين عليه السلام مباشرة، بل ظلّ متمسكاً بحقه، معترضاً على إخراج "سلطان محمد" من بيته إلى غير أهله، حيث ينقل "مادلونغ" عنه قوله الشهير: "الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم..." وهي عبارة تختصر جوهر الموقف العلوي، وهو أنّ الخلافة ليست مجرد إدارة دولة، بل امتداد لبيت الرسالة نفسه.

وبناءً على ما سبق، لم يتعامل "مادلونغ" مع هذا الموقف بوصفه احتجاجاً عاطفياً أو نزاعاً شخصياً،

بل يراه تعبيراً عن فهم عميق لطبيعة القيادة بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فالإمام علي عليه السلام لم يكن يطالب بامتياز قبلي، بل بحقّ يستند إلى النص والسابقة والقرابة والوعي القرآني بمفهوم الاستخلاف.

أما اللافت في هذه القراءة، فهو أنها لم تأتِ من باحث شيعي أو كاتب مذهبي، بل من أكاديمي غربي مرموق في جامعة أكسفورد، عُرف بمنهجه النقدي الصارم وابتعاده عن الاصطفافات الطائفية، وهذا ما يمنح أطروحته وزناً خاصاً، لأنها لا تصدر عن انحياز مسبق، بل عن مراجعة تاريخية دقيقة للمصادر الإسلامية نفسها.

وقد انتقد "مادلونغ" بشدة عدداً من المستشرقين السابقين، الذين سلّموا بالسردية التقليدية من دون تمحيص، معتبراً أنّ كثيراً من الروايات التي رُفضت بوصفها "اختراعات متأخرة" هي ليست كذلك بالضرورة، وأنّ القراءة المتأنية للمصادر تكشف عن صورة أكثر تعقيداً وإنصافاً مما استقر في الدراسات الكلاسيكية[٦].

إن أهم ما يفعله كتاب "خلافة محمد" ليس فقط إعادة قراءة الماضي، بل عرض سؤال حاضر ومفتوح: فهل كان الانقسام الإسلامي قدراً تاريخياً لا مفرّ منه؟ أم أنه نتيجة قرار سياسي اتُّخذ على عجل في سقيفة بني ساعدة، بينما كان جثمان النبي الطاهر صلى الله عليه وآله ما يزال مسجّى في بيته؟

هذا السؤال ما يزال حتى اليوم يحرّك الجدل الإسلامي، إذ إن الخلافة لم تكن مجرد صفحة تاريخية انطوت، بل لحظة تأسيسية تحدد فهم المسلمين للشرعية والقيادة والعدالة، وإذا كان التأريخ قد كُتب غالباً بأقلام المنتصرين، فإنّ "مادلونغ" يحاول هنا أن يعيد الإصغاء إلى صوت الطرف، الذي خسر

إن أهم ما يفعله كتاب "خلافة محمد" ليس فقط إعادة قراءة الماضي، بل عرض سؤال حاضر ومفتوح: فهل كان الانقسام الإسلامي قدراً تاريخياً لا مفرّ منه؟ أم أنه نتيجة قرار سياسي اتُّخذ على عجل في سقيفة بني ساعدة، بينما كان جثمان النبي الطاهر صلى الله عليه وآله ما يزال مسجّى في بيته؟

السلطة الدنيوية، لكنه لم يخسر الحجة الدامغة.

ولعل القيمة الكبرى لهذا الكتاب أنّه لا يطلب من القارئ أن يتبنى موقفاً مذهبياً، بل يدعوه فقط إلى إعادة التفكير، فيما إذا كانت الخلافة بالفعل "اختياراً طبيعياً"، أم أن الإمام عليا عليه السلام كان الأحق بها، لكن السياسة سبقت النص، وغلبت الضرورةُ التأريخَ؟ إنه سؤال ما يزال مفتوحاً... وربما لهذا السبب أنّ السقيفة لم تنتهِ بعد.

---

١. مادلونغ، ويلفرد: The Succession to Muhammad، دار النشر المركزية، جامعة كامبريدج: ١.
٢. المصدر نفسه: ٥–٦.
٣. المصدر نفسه: ١٧.
٤. المصدر نفسه: ٣٣.
٥. المصدر نفسه: ٤.
٦. المصدر نفسه: Preface، xi–xii.

ذاكرة الأمم

▪ الأبعاد الجغرافية لمراسم محرم والزيارة الأربعينية

م.م رسل زكي المظفر
جامعة الكوفة/ كلية الآداب



الأبعاد الجغرافية لمراسم محرم والزيارة الأربعينية

م.م رسل زكي المظفر
جامعة الكوفة/ كلية الآداب

تعد الزيارة الأربعينية وشهر محرم الحرام موضع عناية كثير من الباحثين الجغرافيين؛ لما لها من تأثير كبير في عملية التغير الوقتي لعدد السكان، واختلاف الثقافات والعادات الاجتماعية فيما بينهم، وان دراسة هذه الحالة لها أهمية بالغة، مع التأكيد ان مثل هذه الزيارة اصبح حدثا غير مسبوق في التأريخ البشري عبر العصور، اذ تتناول هذه الدراسة علاقة زيارة الأربعين بإحياء مراسم شهر محرم الحرام، بوصفهما حدثين مترابطين في كثير من الأبعاد الجغرافية والعقائد الدينية والنفسية؛ اذ تعالج فكرة عند الشعوب على مر السنين في تفاصيلها كافة، وعادة تعد هذه طريقة للتقرب الى الله بالحسين عليه السلام .

البعد المكاني للزيارة الأربعينية:

حققت الزيارة الأربعينية تقدماً واضحاً في تلك المعالم والقيم الدينية والشعائر الحسينية والحضارية للحدود الجغرافية للمنطقة المدروسة، ولنأخذ مثالاً لا على الحصر بين النجف وكربلاء، إذ تؤثر كثير من العوامل الجغرافية والأبعاد في هذه الظاهرة، فيكون تأثيرها من الناحية السكانية، التي تؤدي دوراً كبيراً في تغير السكان بشكل مؤقت، أما من الناحية الاجتماعية فيؤدي إلى وجود ترابط بين المجتمعات واختلاط العادات والتقاليد الاجتماعية والدينية فيما بينهم، وتقوية الأواصر الاجتماعية للزائرين الوافدين إلى المرقد المقدس، كما قال الرسول محمد ﷺ :(إن الناس من عهد آدم الى يومنا هذا مثل أسنان المشط لا فضل للعربي على الأعجمي ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى)[1]، وأن هذا الحديث الشريف هو دلالة واضحة للترابط بيت المجتمعات، ولما لهذا الشهر الفضيل الوجيه من أثر كبير لتقارب الأرواح بالخدمة الحسينية، التي تتجه فيه الزوار الى إحياء مراسيم العزاء لسيد الشهداء سواء داخل البلد أم خارجه ففي أثناء الزيارة الكبرى العظيمة تتجه نحو مرقد سيد الشهداء الملايين من الزائرين، وهذا كله له أبعاد جغرافية كبيرة على المنطقة والمناطق المجاورة له.

وعند الحديث عن الجانب البيئي فيجب أن تتوافر في المنطقة الجغرافية عوامل بيئية مناسبة، تساعد الزائرين على تأدية مراسم الزيارة الأربعينية، لذلك لا بد من توافر وسائل نقل ممتازة، تسهّل حركة الزوار من منطقة إلى منطقة أخرى أثناء شهر محرم، وبقائهم إلى مدة الزيارة الأربعينية وتلطيف الأجواء المناخية في أثناء ارتفاع درجات الحرارة وانخفاضها[2].

الجغرافية الدينية لشهر محرم:

إنّ مراسم هذا الشهر لها أهمية كبيرة بالنسبة للعالم الإسلامي؛ اذ تزداد ذروتها في العشرة الأولى منه، وفي أثناء الزيارة الاربعينية؛ إذ تكون من اكبر المراسم الدينية ذات الابعاد الجغرافية على مستوى العالم، ولها تخطيط حضري واسع على مستوى المدينة من الناحية الاقتصادية والبنى التحتية للمدينة والحركة السكانية والعمرانية، تكون واضحة حيث تنعكس بشكل كبير على المناطق، التي توجد فيها الأجواء الروحانية لشهر محرم الحرام[3].

ان التحول الذي حصل يمثّل مفهوم الجغرافية الدينية ، لما لها من تأثير كبير على السكان في تلك المنطقة، اذ تعد مدينتا النجف وكربلاء أنموذجاً فريدا في جغرافية النقل، لما توفره من وسائل كبيرة تسهل عملية نقل الزائرين من منطقة إلى منطقة أخرى، في أثناء شهر محرم لأداء الزيارة وأن مراسم محرم الحرام والزيارة الأربعينية ليست مجرد ظاهرة دينية فحسب، بل كذلك ظاهرة جغرافية شاملة على المدينة من الناحيتين الطبيعية والبشرية، متمثلة بالعوامل البيئية والمناخية والعوامل الاجتماعية والاقتصادية وخدمات البنى التحتية ووسائل النقل، سواء الجوية أم البرية، وإن هذا كله يضفي عليها أبعاداً تساعد على التخطيط الحضري للمدينة بشكل أوسع وأفضل، والاستفادة من هذه المراسيم كفرصة لتطوير البنى التحتية للمدينة، إذ باتت زيارة الأربعين موضع عناية جميع الباحثين الاكاديميين، ولاسيما الباحث الجغرافي من الناحية الاجتماعية والثقافية والفكرية، وفي مراكز الدراسات المختلفة؛ إذ إن زيارة الأربعين وإحياء مراسم عاشوراء حدثان مترابطان من حيث الأبعاد العقدية والعاطفية والنفسية، وكذلك من حيث الظروف التي واجهت

الشيعة في إحياء هاتين المناسبتين العظيمتين، ويمكن القول: إنه يمكن إبراز أحد التغيرات الايجابية التي تلامس الواقع الاجتماعي، والذي يتناقض مع طابع المجتمعات الغربية، التي تتنامى فيها الفردية والأنانية لدى بعض المجتمعات، التي يغيب فيها أي بعد إنساني او معنوي وهنا لا بد من توضيح ظاهرة مشاركة الشباب في زيارة الأربعين واحياء مراسم عاشوراء في محرم الحرام، لذلك يستدعي إعادة النظر في مثل هذه المقالات على المستوى الثقافي والاجتماعي والديني والتفكير فيها من منطلقات نظرية مغايرة، لها علاقة بواقع مجتمعاتنا[٤].

البعد المذهبي الديني العقائدي:

كان للبعد المذهبي الذي تروج له القنوات الإعلامية والسياسات الفكرية الأثر الواضح في هذه الأبعاد، وقد أتى هذا الاهتمام من أوساط مختلفة، سواء تلك التي تترصد الشيعة في مناسباتهم الدينية وكل ما يقومون به لأحياء المراسيم الدينية العظيمة، ومنها مراسيم عاشوراء، ومن ثمّ يتم اتهامهم بالكفر والتعصب من خلال ممارساتهم العاشورائية أم بين القنوات الاعلامية التي تنقل الحدث كما هو، من دون تزييف أو تحريف لواقع الحال، لذا يثار النقاش في كل عام حول ما يجري في عاشوراء من حضور ومشاركات شعبية كبيرة، او حول ما يقال في السيرة ضمن مضامين أخلاقية ودينية وعقائدية، ولا يمكن ان نفصل بين هذا الاندفاع الواسع لإحياء زيارة الأربعين من داخل العراق وخارجه وبين ما تشهده مجالس عاشوراء في العالمين العربي والإسلامي، وحتى في دول الغرب، بحيث يمكن القول: إن إحياء مراسم عاشوراء هو التمهيد المنطقي والعاطفي والنفسي للمشاركة في إحياء زيارة الأربعين[٥].

أمور ينبغي مراعاتها:

إنّ من الأمور والتدابير التي ينبغي اتخاذها في مثل هذه الزيارات العظيمة، منها حث خدَمة الإمام الحسين عليه السلام على التحلي بالصبر بأسلوب مفيد اجتماعيا، لإحياء مراسم الزيارة بأبعادها المتنوعة للخدمة الحسينية، كونه يعد الأسلوب الذي يحقق رضا زوّار سيد الشهداء وخدَمته، ونقل الصورة الجميلة الاستثنائية لهذه الزيارة أمام العالم، لإحياء هذه الشعائر على اتم وجه، وكذلك العمل على إقامة الندوات والورش والمؤتمرات الحسينية في المواكب والحسينيات الموجودة داخل مناطقهم، بما يهدف الى نشر التعاليم الدينية والاجتماعية وتقوية الاواصر الاجتماعية، وكذلك العمل على إعداد خطط استراتيجية واضحة، لإعادة تأهيل البنى التحتية للمنطقة المدروسة، والعمل على تطوير الابعاد الجغرافية، المتمثلة بطرق النقل وحركة السكان والعادات الاجتماعية والدينية والاهتمام بالنواحي البيئية للمدينة، لتسهيل عملية حركة الزوار في اثناء الزيارة الأربعينية، وإحياء الشعائر الحسينية في شهر محرم.

---

١. الشيخ المفيد، ميزان الحكمة: ٤/ ٣٥٣.
٢. سعد علي حميد، طريق زيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام بنظم المعلومات الجغرافية: ٤٩٠.
٣. أنمار البصري، المواكب الحسينية في زيارة الأربعين، مجلة النبأ:٣٤
٤. طلال عتريسي، زيارة الأربعين انموذج لمجتمع تراكمي، مجلة العقيدة: ٣.
٥. المصدر نفسه: ١٢.


محمد رسول الله

رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

في الثامن والعشرين من صفر الخير سنة ١١ هجرية رحل الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وله من العمر ٦٣ عاماً.

وكان قبل رحيله قد دعا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في مرضه، الذي رحل فيه، فقال ادعوا لي خليلي، فأرسلتا الى ابويهما،فلما نظر اليهما رسول الله صلى الله عليه وآله أعرض عنهما، ثم قال: ادعوا لي خليلي، فأُرسل الى علي عليه السلام، فلما نظر اليه اكبّ عليه يحدثه،فلما خرج لقياه فقالا له: ما حدّثك خليلك؟ فقال عليه السلام: (حدّثني ألف باب يفتح كل باب ألف باب)[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ...وحين نزل برسول الله صلى الله عليه وآله الأمر، نزلت الوصية من عند الله كتابا مسجّلا،نزل به جبرئيل مع أمناء الله تبارك وتعالى من الملائكة،فقال جبرئيل: يا محمد مر بإخراج من عندك الا وصيك،ليقبضها منا وتشهدنا بدفعك إياها إليه، فأمر النبي صلى الله عليه وآله بإخراج من كان في البيت ما خلا علي عليه السلام وفاطمة بين الستر والباب، فقال جبرئيل: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول: هذا كتاب ماكنت عهدت اليك، وشرطت عليك، وشهدت به عليك، وأشهدت به عليك ملائكتي، وكفى بي يا محمد شهيدا.

وكان فيما اشترط عليه النبي صلى الله عليه وآله بأمر جبرئيل عليه السلام فيما أمر الله عز وجل أن قال له : يا علي تفي بما فيه من موالاة من والى الله ورسوله،والبراءة والعداوة لمن عادى الله ورسوله،والبراءة منهم على الصبر منك، وعلى كظم الغيظ، وعلى ذهاب حقك، وغصب خمسك وانتهاك حرمتك؟ فقال: نعم يا رسول الله، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد سمعت جبرئيل عليه السلام يقول للنبي صلى الله عليه وآله : يا محمد عرّفه أنه يُنتهك الحرمة وهي حرمة الله وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله ،وعلى أن تخضّب لحيته من دم رأسه بدم عبيط.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فصعقت حين فهمت الكلمة من جبرئيل، حتى سقطت على وجهي، وقلت: نعم قبلت ورضيت،فخُتمتْ الوصية بخواتيم من ذهب لم تمسّه النار ودُفعتْ الى امير المؤمنين عليه السلام[2].

ثم قضى رسول الله صلى الله عليه وآله ويد أمير المؤمنين عليه السلام اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيها... وتولى عليه السلام غسله وتحنيطه وتكفينه، والفضل يعاطيه الماء ويعينه عليه، فلما فرغ من غسله وتجهيزه تقدم وصلى عليه وحده، لم يشركه معه أحد في الصلاة عليه.

وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمهم في الصلاة عليه واين يُدفن، فخرج إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله إمامنا حيّا وميتا، فيدخل اليه فوج فوج منكم فيصلون عليه بغير إمام وينصرفون،وان الله تعالى لم يقبض نبيا في مكان الا وقد ارتضاه لرمسه فيه، وإني دافنه في حجرته التي قُبض فيها) فسلّم القوم لذلك ورضوا به[3].

---

(١) بحار الانوار:٢٢/ ٣

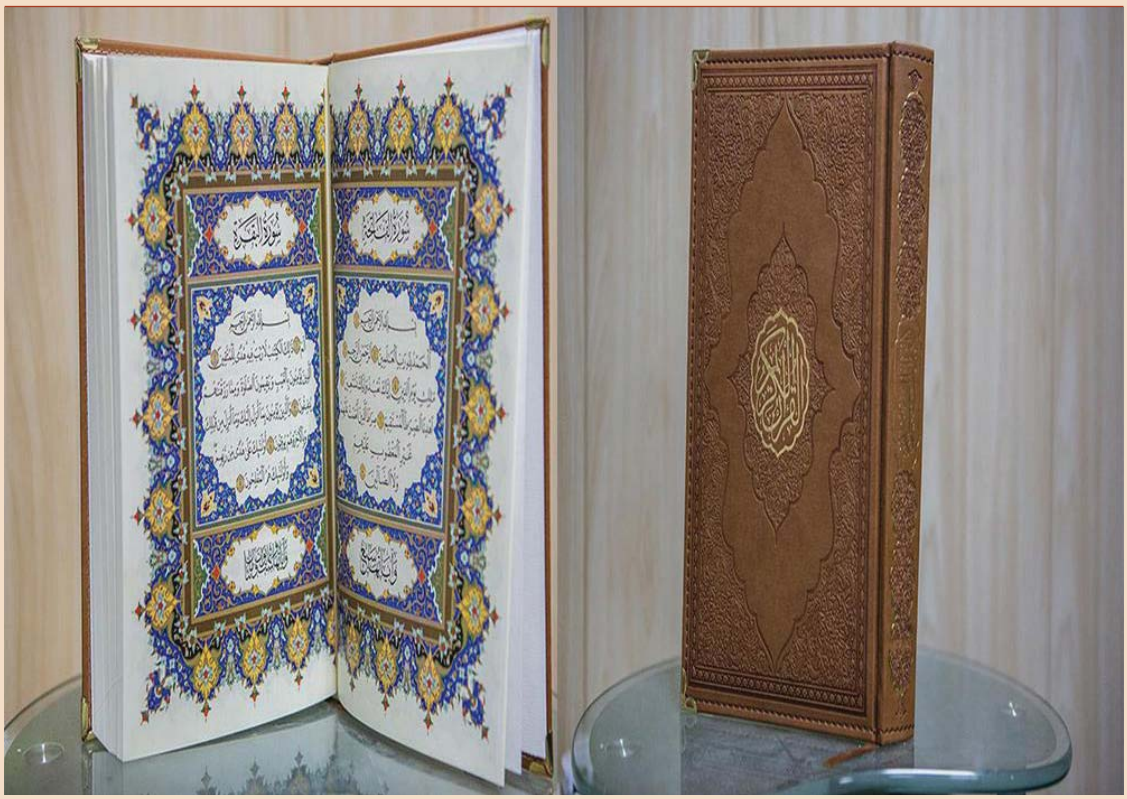
(٢) الكافي:١/ ٢٨١

(٣) الإرشاد: ١/ ١٨٨

تراث خزانة العتبة العلوية

- مصحف النجف الأشرف
  جهاد وجهود
- عودة الروح إلى مصحف نفيس
  يعود إلى شبه القارة الهندية

الباحث والمرمم محمد منصور الجزائري
الخزانة العلوية



مصحف النجف الأشرف .. جهاد وجهود

إنها النجف الأشرف، عاصمة الثقافة الإسلامية، مدينة الإمام علي عليه السلام، التي تستحق أن يُخلّد اسمها بمصحفٍ شريف يطبع و يُتلى في مساجدها وبيوتها ويشرق نوره إلى العالم.

ففي يوم مميزٍ من أيام النجف الأشرف سيبقى في الذاكرة تمت إزاحة الستار عن الطبعة الأولى من القرآن الكريم (مصحف النجف الأشرف).. هذا الإنجاز القرآني الكبير، الذي يُعدّ أول مصحف عراقي ينضم إلى قائمة المصاحف المعتمدة في العالم الإسلامي، منها مصحف المدينة المنورة ومصحف القاهرة ومصحف تونس.

لقد صدر هذا المصحف الشريف بمباركة المرجع الديني الأعلى سماحة السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله الوارف، ليكون شاهدًا على عناية العراق وأهله بكتاب الله تعالى، وامتدادًا لأهل البيت عليهم السلام.

ويُعد مصحف النجف الأشرف تحفة مميزة، إذ يتميز بجودة عالية استثنائية في الورق والأحبار، وروعة في التصاميم والإخراج الفني، إضافةً إلى جمال الخط ودقته، ما يجعله واحدًا من أجمل الإصدارات القرآنية الحديثة وأرقاها ، فقد كان خطاط المصحف الأستاذ عبد الحسين الركابي الذي أبدع في إتحاف هذا العمل بروحٍ فنيةٍ وإيمانيةٍ عالية.

فضمن فعّاليات حفل إزاحة الستار عن مصحف النجف الأشرف الشريف، الذي أُقِيم في قاعة المجمّع العلويّ في النجف الأشرف، تيمّنًا بذكرى ولادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام .أكّد المتولّي



الشرعيّ للعتبة العبّاسية المقدّسة سماحة العلّامة السيد أحمد الصافي، أنّ مصحف النجف الأشرف ثمرة جهودٍ علميّة دقيقة وعملٍ جماعيّ متواصل استمرّ لسنوات، وإن العتبة العباسية المقدسة وبالتعاون مع لجان فنية وعلمية استطاعت وبفضل من الله تعالى ودعم من الحوزة العلمية في النجف الاشرف وعلمائها الأعلام من تحقيق هذا الإنجاز الكبير، الذي يفتخر به كل مؤمن.

وقد أشاد مراجع النجف الأشرف العظام بمصحف النجف الأشرف، الذي أشرفت على إخراجه وطباعته العتبة العبّاسية المقدّسة، سيما المرجع الدينيّ الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني(دام ظلّه)، الذي أثنى على هذا العمل القرآنيّ المبارك، وعلى ما بُذِلَ من جهد داعياً للقائمين على المشروع بالتوفيق والسداد ومواصلة المزيد خدمةً للدين والمذهب".

وكذلك سماحة المرجع الكبير آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم(قدس سره) قبل وفاته ، فقد كان معجباً بالخطّ بشكلٍ كبيرٍ، ناهيك عن الطباعة وغيرها من الأمور التي تسرّ الناظر، وكذلك المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ بشير النجفي(دام ظلّه) الذي بارك هذا الإبداع، وهذا الإنجاز العراقيّ الخالص، وأنّه المصحف الأوّل الذي استُعمل فيه حرفُ الخطّاط العراقيّ، وطبع بمطبعة عراقية وهي دار الكفيل للطباعة، وقد أعجب سماحة المرجع الديني آية الله الشيخ محمد إسحاق الفياض(قدس سره)بالمصحف الشريف، مؤكّداً ضرورة نشره وطباعته طبعات عدّة.

وقد أقيم حفل افتتاح في المجمع العلوي في النجف الأشرف، حضره العديد من الشخصيات الدينية والعلمية وجمهور غفير ، إذ ألقى السيد أحمد الصافي المتولي الشرعي للعتبة العباسية المقدسة كلمة جاء فيها :



((منذ مئات من السنين مرّت على الدرس الحوزويّ في النجف الأشرف بجميع فنونه وعلومه، من الفقه والأصول واللغة والتفسير والنحو والشعر وغيرها، حيث أبدى أبطالُ العلم والفقاهة والتفسير قدرةً فائقة في الحفاظ على العلم، واكتشاف النظريّات العلمية والحفاظ على لبنة الإسلام، ومن جملة الاهتمام كان الاهتمام بالثقل الأكبر، وهو وديعة النبيّ المصطفى عليه السلام في هذه الأمّة.

كما لا يخفى على الذي يسبر التأريخ، إذ خلّف فينا ثقلين، القرآن الكريم والعترة الطاهرة عليهم السلام وكان الاهتمام بهذا الذكر الأكبر حفظًا وتدريسًا وعلى وفق علوم مختلفة الشيء الكثير من الآثار العلميّة، حتّى أحصى بعض أجلّة العصر من المختصّين في ذلك، أكثر من ٣ آلاف مخطوطةٍ تُعنى بشؤون القرآن الكريم.

وقد ورد الحثّ على أنّ القراءة في المصحف أفضل من القراءة عن ظهر قلب، ما شجّع ذلك على كتابة المصحف الشريف على كرور الأزمنة وصروف السنين، وقد حوت الخزائن المعروفة والمخطوطة على مئاتٍ من النسخ الخاصّة والفريدة للقرآن الكريم، حتّى أنّ بعض الخزائن تفتخر أنّها تحتوي على أقدم مخطوطةٍ لكتاب الله العزيز، وقد ظهرت خلال ذلك مجموعةٌ من الأسماء اللامعة في خطّ المصحف الشريف، ونحن لسنا بصدد تعداد ذلك، ولكن نقول هذا الفنّ قد أخذ جانبًا مهمًّا من حياة المسلمين.

وقد تميّزت بعض النسخ القرآنية بقيمتها المعنويّة كلّما كانت ضاربةً في عمق التأريخ، لذلك نرى الكثير ممّن تصدّى لكتابة المصحف الشريف، وهم يتنافسون على ذلك لما فيه من فوائد جمّة.

قبل أكثر من ١٧ عامًا طُرِحت فكرةٌ لكتابة مصحفٍ شريفٍ أيضًا على أيدي أحد الإخوة من الخطّاطين

المَهَرة، وقد نال الطلب بعد أن عُرِض على مقام المرجعية الدينيّة العُليا، أنّ هذا العمل عملٌ مبارك، ثمّ بعد ذلك فإنّ الأمور مرهونة بأوقاتها، وقد حدثت بعض الأمور التي أعاقت هذه الخطوة، إلى أن سهّل الله تبارك وتعالى قبل خمس سنين، فتصدّى أحدُ الإخوة الأفاضل لكتابة المصحف، وهو الأخ الخطّاط الأستاذ عبد الحسين الركابي (سلّمه الله تعالى)، وقد قضى وقتًا مع هذه النسخة الخطّية قرابة الخمس سنين، ثم بعد ذلك شُكّلت لجان مختصّة سواء كانت في مراجعة الخطّ، ومتابعة رسم القرآن، ومتابعة الزخارف، حيث إنّ هذه اللجان نقلت مكتبها إلى مطبعة دار الكفيل للطباعة والنشر، ومع المتابعة ورقة بورقة، وبالمشاورة مع الإخوة في الدار تمّ الأمر.

حتّى انبرت عندنا فكرة، وإن شاء الله في هذا اليوم يوم ولادة الإمام الرضا عليه السلام نعلن عنها، وهي أن نؤسّس مطبعةً خاصّة فقط في قضية المصحف المبارك، مصحف النجف الأشرف، وستقوم هذه المطبعة على طباعة جميع أحجام المصحف الشريف، وكذلك تنويع ما يُمكن أن يُستفاد منه في طرح هذه النسخ في متناول يد الإخوة المؤمنين.

أقدّم شكري الخاصّ بدءًا من مقام المرجعيّة الدينية العُليا المتمثّلة بسماحة سيّدنا علي الحسيني السيستاني (أدام الله ظلّه الوارف)، ونجله الأغرّ سماحة سيدنا محمد الرضا (دامت بركاته)، لما بُذِل من جهدٍ ومتابعةٍ للمشروع، وحثّ على الإسراع بإنجاز هذا العمل، كذلك الإخوة الأعزّاء أخصّ منهم بالذكر فضيلة الحجّة الشيخ عبد الرضا الهندي، وفضيلة السيد البكّاء، وفضيلة السيد جواد الغريفي (سلّمهم الله) وكلّ الفريق الفنّي العامل.

فالعمل قطعًا لا ينهض به شخصٌ واحد، إنّما فريق، وكان الفريق منسجمًا يسعى دائمًا إلى بذل المزيد، حتّى أنّ بعض الأوراق كانت تراجع أكثر من سبع إلى عشر مرّات، وكلّ هؤلاء الذين يراجعونها، هم من أهل الفنّ والاختصاص، رعايةً لضبط هذا الكتاب العزيز، مصحف النجف الأشرف.

طبعًا هنالك مصاحف كثيرة نُسِبت إلى المدينة، مصحف واحد عند المسلمين، هو هذا المصحف الذي بين أيدينا، والذي يقرأه جميعُ المسلمين في كلّ أنحاء العالم، لكنّ الإضافة تبعًا للمدينة للمناسبة، فهناك مصحف المدينة المنورة، تبرّكًا بوجود النبيّ صلى الله عليه وآله وهذا أيضًا مصحفٌ موجود ومشهور، ومصحف أعتقد أنّه في تونس ومصحف في القاهرة، والآن أضيف هذا المصحف المبارك، مصحف النجف الأشرف)).

عودة الروح إلى مصحف نفيس يعود إلى شبه القارة الهندية

الباحث والمرمم محمد منصور الجزائري
الخزانة العلوية



في رحلةٍ استثنائية من العناية والترميم، تمت استعادة مصحف شريف نفيس يعود إلى شبه القارة الهندية، وتتميز انها من مناطق الهند وباكستان وبنغلادش والنيبال كتبت بالخط البهاري (أو النسخ الهندي)، وهو خط ينسب إلى منطقة (بهارا) في الهند. وقد اشتهرت هذه المصاحف بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين، وتعرف بظواهر خطية واضحة؛ مثل استدارة الحروف وسمكها في بداية الكلمات، كما ضبطت هذه المصاحف وفق قراءة عاصم الكوفي، وازدانت بزخارف نباتية وهندسية جميلة تضفي عليها طابعًا فنيًا.

مكانة المصحف التأريخية

هذا المصحف، الذي يحمل التسلسل (٢٥٥٠) في مخطوطات الخزانة العلوية، يمثل إرثًا حضاريًا وروحيًا لا يُقدّر بثمن. كُتب بخط النسخ باللون الأسود، وزُيّن بألوان الأزرق والأصفر والبرتقالي، ويتميز باستدارة الحروف وامتدادها، مع زخارف نباتية وهندسية جميلة تعكس تفاعل الحضارة الإسلامية مع البيئة الثقافية والفنية في شبه القارة الهندية.



وقد تعرض المصحف عبر السنين لأضرار جسيمة نتيجة سوء الخزن، لكنه أُعيد إلى عهده السابق بجهود كوادر وحدة صيانة المخطوطات والوثائق، ليبقى شاهدًا حيًا على عظمة التراث الإسلامي وصيانته داخل الخزانة العلوية.

المرحلة الأولى: التوثيق

بدأت الرحلة بتوثيق شامل للمصحف عبر تصويره من البداية إلى النهاية، ورصد جميع المشكلات التي لحقت به. هذه الخطوة كانت ضماناً للأمانة العلمية وإبراز جهود الفنيين في كل مرحلة.

المرحلة الثانية: الصيانة الوقائية

انتقل المصحف إلى وحدة الصيانة الوقائية، إذ جرى تنظيفه بعناية فائقة، وإزالة الغبار والأتربة، مع إعداد استمارة مسح صياني خاصة به. كما صُنعت له علبة حفظ أولية من الكارتون القاعدي؛ لتكون بمثابة عزل أولي يحميه من أي مؤثرات خارجية.

المرحلة الثالثة: الفحص والتشخيص

في وحدة المختبر، خضع المصحف لفحوص كيميائية وبيولوجية دقيقة. تمت إزالة الفطريات، وفك التصاق بعض الصفحات، وتنظيف البقع ومخلفات الحشرات باستخدام مواد صديقة للبيئة، لا تؤثر على الأثر التأريخي.

المرحلة الرابعة: الترميم

هنا بدأت المرحلة الأكثر حساسية، إذ اختيرت طريقة الترميم المناسبة على وفق نتائج الاختبارات. جرى تعويض الأجزاء الناقصة من شقوق وثقوب وتكسر في الورق، مع تغذية الألياف وإعادة مرونتها، ليعود الورق وكأنه يستعيد "روح الحياة".

المرحلة الخامسة: مرحلة التجليد

أُعيد ترميم الغلاف الذي عانى من تيبس وتكسر وتمزق الجلد والكعب. وفي حال فقدان الغلاف الأصلي، يصُنع غلاف جديد، يحاكي زخارف المدرسة الهندية، التي ينتمي إليها المصحف، ليحافظ على أصالته الفنية. وأخيرًا، صُنع صندوق حفظ نهائي يحمل الزخارف نفسها، ليكون المصحف في مأمن من أي ضرر مستقبلي.

كل المواد التي استُعملت في عملية الصيانة والترميم كانت طبيعية وصديقة للبيئة، لضمان عدم حدوث أي تأثير جانبي على المخطوط النفيس.

كتب نادرة ونفيسة في مكتبة الروضة الحيدرية

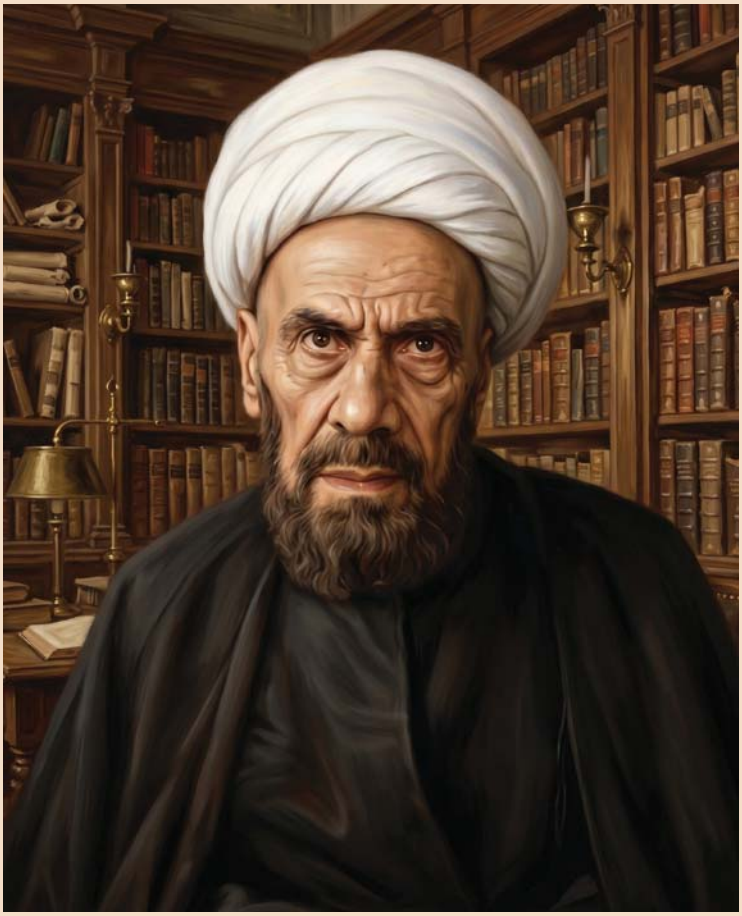


اسم الكتاب : أنيس الموحدين
المؤلف : محمد مهدي النراقي
الناشر : مطبعة الشيخ أحمد الشيرازي
تاريخ الطباعة : ١٣٢٥ هـ. ق.
عدد الصفحات : ١٠٤
إهداء : مكتبة الشهيد عز الدين بحر العلوم
طبعة حجرية نادرة باللغة الفارسية مبحثها في أصول الدين .

يراع العلماء

آية الله الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ونظرته لمدنية الغرب المزعومة

السيد هاشم الميلاني
المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية



آية الله الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ونظرته لمدنية الغرب المزعومة

السيد هاشم الميلاني
المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية

تتعدّد وجوه المشروع الإصلاحي للشيخ كاشف الغطاء (١٢٩٤-١٣٧٣هـ) وتتنوّع؛ إذ كان قدس سره فقيهًا وأديبًا ومتكلّمًا وحكيمًا وسياسيًّا محنّكًا، وبنى على وفق هذه الخلفيّة حركته العلميّة والفكريّة في مواجهة التحدّيات التي تواجه المجتمع والعالم الإسلامي. ولهذا، فقد اتّبع المنهج العملي الوظيفي، إذ يشير إلى فوائد الالتزام بالدين، ليثبت أهميّته وضرورته، ويؤكّد ضرورة إحياء العوامل التي توجب نهوض الأمّة والوصول إلى رشدها. وفي هذا السياق، يرى الشيخ كاشف الغطاء أنّ جهود المصلحين نحو اتّحاد العالم الإسلامي قد أثمرت و(قد بدت بشائر الخير، وظهرت طلائع النجاح، ودبّت وتسرّبت في نفوس المسلمين تلك الروح الطاهرة).

ومِن الواضح أنّه (قده) كان مستشرفًا ومواكبًا لما يجري في العالم، لهذا صوّب باتجاه مفاسد الغرب والفكر والثقافة الغربيين؛ لذا، فهو يعتقد بأنّ الغرب هو السبب في إفساد الأمّة، وأنّ الغرب لا يريد نفع الأمّة الإسلاميّة، بل (إنّما جاؤوا بها ليفسدوا أخلاقكم ويسلبوا أموالكم، ويوقعوا العداوة والبغضاء بين الناس).

ولهذا، فإن ما حلّ بالعالم الإسلامي مِن حركة تغريبيّة تقتفي الغرب جملة وتفصيلًا، يُعدّ مِن أبرز أسباب التخلّف، وهذا ما يسمّيه بنفوذ روح الغرب، إذ يقول: (نفذت الروح الغربيّة في جسد الشرق وجسم العالم الإسلامي، فانتزعت منه كلّ عاطفة شريفة، وإحساس روحي وشرف معنوي...).

وكانت له مواقف سياسيّة متعدّدة تنبئ عن عمق نظره، ومعرفته بالواقع العالمي والإقليمي، إذ كان يعتبر أنّه غارق في السياسة بمعنى الوعظ والإرشاد والنهي عن الفساد، والنصيحة للحاكمين بل لعامّة العباد، والتحذير مِن الوقوع في حبائل الاستعمار والاستعباد، ووضع القيود والأغلال على البلاد وأبناء البلاد.

موقفه من الغرب ..

وللشيخ كاشف الغطاء مواقف صريحة تجاه الغرب، تنبئ عن عمق بصيرته ووقوفه على خدع الغرب ومكره، وكان يرى أنّ المدنيّة الغربيّة أكبر ضربة على الدين، مِن دون فرق بين الإسلام والنصرانيّة.

ولم يكن الشيخ كاشف الغطاء كسائر المصلحين، كيف وهو ابن الحوزة العلميّة ومِن كبار فقهائها ومِن أبرز علمائها؟ فمِن الطبيعي أنْ يكون الدين منطلقه في العمل الإصلاحي، حاله حال سائر المصلحين مِن أسلافه.

كان قدس سره يشير إلى مجد الإسلام إبّان ازدهار حضارته في القرون الأولى، ويشبهه بالطائر القدسي الذي (أنشب مخالبه في أعماق البسيطة، وأثبت رجليه على تخوم الأرض، واحتكّ بظهره أعنّة السماء مِن هذا المحيط، واستقبل بوجهه الكعبة المقدّسة مِن ناحية الجنوب، حتّى أطلع رأسه مِن وراء خطّ الاستواء، ومدّ ذنبه على أقصى المعمورة مِن الشمال، ونشر أحد جناحيه على المشرق، حتّى وضع قوادمه على جدار الصين، وظلّل بالثاني طرف المغرب إلى منتهى المحيط، فقال للشمس: أينما أشرقت ففي ظلالي، وللسحاب أينما وَدَقْتِ ففي بيت مالي. بلغ هذا الطائر المبارك الميمون مِن الفخامة والعظمة في أقلّ مِن قرن ونصف ما لم تبلغه أكبر دول العالم في عدّة قرون...).

أين المسلمين ؟

ثمّ يتأسّف الشيخ كاشف الغطاء على ما حلّ بالإسلام والمسلمين اليوم، ويقول: (نعم لا أُحاول أنْ أمثّل لك وأنعى إليك رزيّة الإسلام في أهله، وبليّته مِن قومه، ونعيه على أسلافه، ومصيبته مِن أبنائه... لا أحاول أنْ أُجسّم لك كيف تركه أهلوه فتركهم، ونبذوه فانتبذهم، وأهلكوه فأهلكهم . لا أُمثّل لك كيف حاربوه في القول والعمل، وجانبوه في الظاهر والباطن، فتزيّوا بغير أزيائه، وتخلّقوا بغير أخلاقه، وعملوا على هدم أساسه وإخماد نبراسه).

إنّ الصورة التي يرسمها الشيخ كاشف الغطاء عن الوضع العام آنذاك تجاه الدين صورة مزريّة ومبكية تمامًا، إنّها لوحة تصوّر الإسلام بأنّه: مُسحت أطرافه، وبُترت ذنائبه، حُصّت أجنحته، كُنعتيداه ورجلاه، دُمغت هامته حتّى تداخلت في عنقه، فاختنق صوته، وأخفتت دعوته، وأصبح كجؤجؤ في وسط العراء،

تكتنفه الذئاب والوحوش والقشاعم والنسور. كلّ يوم تنهش قطعة مِن لحمه وتكسر عظمًا مِن عظمه... ثمّ تسيل دموع الشيخ كاشف الغطاء على ما حلّ بالإسلام والمسلمين، ويقول: (إنّي لأُحرّر فيما هنا والحسرات تتكسّر في صدري، والدمع قبل القلم يجري، والعبرات أمام العبارات تنهلّ، ويا حبّذا لو سمحت لي العناية بموقف تراق قطرة دم حياتي في سبيل حياته).

وبعد هذه الزفرة والشقشقة التي هدرت ثمّ قرّت، يعرّج الشيخ كاشف الغطاء على أهميّة الدين في حفظ نظام العالم، وأنّه متوافق مع الفطريّات والوجدانيّات والبديهيّات، ويقول: (إنّ الدين... أعظم وأكبر ناموسٍ في حفظ نظام العالم، وأنفذ وازع ورادع للنفوس عن حرصها وجشعها إلى حبّ التغلّب والتفوّق واستيفاء الحظوظ مِن الشهوات الحيوانيّة والقوى الغضبيّة والطمّ والرمّ والاستكثار مِن الحطام الجمّ ،ويستحيل بدون الدين قمع هذه الشرور وقلع هذه البذور مِن نفوس البشر عامّة وخاصّة، إلّا برهبة الدين وتسليط سيطرته عليها).

إنّ المنهج الذي يتّبعه الشيخ كاشف الغطاء هنا، إنّما هو المنهج العملي الوظيفي، حيث يشير إلى فوائد الالتزام بالدين ليثبت أهميّته وضرورته. ومِن هذا المنطلق -أي الدور الوظيفي والعملي للدين في حياة الإنسان- يشرح الشيخ المصائب والبلايا التي تحلّ بالإنسان في حياته الدنيويّة، بحيث تدعه أسير الكربات والأزمات النفسيّة والاجتماعيّة وغيرها، ثمّ يتساءل ويقول: (قل لي فإلى أيّ عماد يستند، وعلى أيّ سند يعتمد؟ بأيّ ركن يعتصم هذا المسكين البائس، وإلى أيّ ملاذ يلوذ، ومِن أيّ مساعد يؤمّل النجاة أو إراحته مِن سوء هذه الحياة؟).

الحل هو الدين ..

نعم إنّه الدين، فالدين هو القوّة الأزليّة التي يرجع إليها الإنسان لتستقيم حياته وتعتدل، إذ (لولا سلوة الدين وحسن عزائه وطيب النفس بحسن الثقة به، وأنّ عاقبة الصبر الجميل جميلة، وإنّ الاستسلام له داعية كلّ فضيلة، لكان جديرًا بالإنسان وحريًّا به، بل وحتمًا عليه، أنْ ينتحر مِن ساعته، ويقضي حياته مِن أوائل عمره).

فالدين هو الذي يوجب الاطمئنان والسكينة لهذا الإنسان الحائر، وهو الراحة الكبرى، والنعمة العظمى، وأعظم لوازم الإنسانيّة، وأهمّ ما يجب للطباع البشريّة. إنّ الأديان سياج العمران، وحصن الحياة، ومعقل الأمم، ولا تطيب الحياة إلّا بها، ومَن قبض على الدين، فقد قبض على راحة الأبد، وسعادة النشأتين، ولو قبض الإنسان السماوات بيمينه والأرض بشماله لما أغناه ذلك عن الدين شيئًا: (فإلى الدين إلى الدين أيّها الملوك والسلاطين والبؤساء والمساكين).

والتمسّك بالدين يوجب السعادة والفوز، فنحن (إذا اتّفقنا وأصلحنا أنفسنا وأخذنا بأحكام ديننا، عادت السعادة إلينا، وزال كابوس الاستعباد عنّا).

ثمّ أنّ الشيخ كاشف الغطاء يقوم هو بعبء هذه المهمّة، ويشمّر عن ساعديه ليثبت أصول الدين الخمسة ببيان سلس سهل قابل للفهم، وبعيد عن التعقيد الفلسفي والكلامي، وذلك في ثلاثيّته: (الدين والإسلام).

وبعد الإثبات النظري المبسّط للدين الإسلامي، يعرّج الشيخ كاشف الغطاء على الشريعة الإسلاميّة، ليجعلها الوسط بين الشريعة اليهوديّة

والمسيحيّة والمهيمنة عليهما، لما طرأ عليهما مِن الدسّ والتحريف، ويقول: (إنّ مِن العناية اللازمة والحكمة الواجبة بعد ذينك الشريعتين، أنْ يضع الحكيم شريعة وسطًا، وطريقًا جَدَدًا جامعًا لطرفي العدل والفضل، آخذًا بأعنّة السعادتين، وإصلاح النشأتين، وتقويم أود الحياتين... وهذه الشريعة التي لها هذه الخاصّة والميزة عن غيرها، هي التي تصلح أنْ تكون القانون الأبدي لصالح عامّة البشر في عامّة الأزمان جيلًا بعد جيل وقبيلًا بعد قبيل).

ويقول أيضًا: (إنّ أحكامه التشريعيّة مِن عبادات ومعاملات وجزائيّات وأحكام -أعني سياسة المدن وتدبير النفس والمنزل- هي شرائع مطابقة لروح العدل وجوهر العقل ونواميس الفضيلة، فلا يمكن أنْ يؤتى بأحسن منها بل ولا بمثلها، وأنّه لو سارت الممالك الإسلاميّة عليها، بل وسائر الممالك لساروا في صراط مستقيم لا يرون فيه عوجًا ولا أمْتًا، وهي موافقة لروح كلّ عصر، ولسعادة كلّ أمّة مِن الأمم).

وعليه، فإنّ الشريعة الإسلاميّة جمعت السعادتين: سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، وأخذت بالعدل وزادت عليه بالعفو والإحسان.

كما أنّ أهداف الشريعة الإسلاميّة انتشال الإنسانيّة مِن أوضار الطبيعة، وأقذار المادّة وخسّة الحيوانيّة، والعروج بها إلى مصاف الروحانيّين والمثل العليا، ولم يدع وسيلة للهناء والسعادة والعزّ والكرامة إلّا عيّنها وبيّنها في هذه الحياة أو في الحياة الأخرى، وجعل لَمَنْ آمن به وبرسله وباليوم الآخر مقامًا رفيعًا وكريمًا في الدارين.

وبعد هذا يختم كلامه قائلًا: (فحقًّا أقول إمّا أنْ تكون الشريعة الإسلاميّة هي الشريعة الإلهيّة والدين الأبدي، وإمّا أنْ لا يكون للعالم صانع ولا يكون مدبّر).

ومِن الجدير بالذكر أنّ الشيخ كاشف الغطاء قد دخل مساجلات كثيرة مع المسيحيّين بغية إثبات أحقيّة الدين الإسلامي والدفاع عن مبادئه ومبانيه أمام الشبهات، التي كانت تثار آنذاك ضدّ الإسلام، وقد أشار إليها بقوله: (تألّبت زعانفة مِن الأمّة المسيحيّة وتغالت وتطرّقت في الطعن على شرف الإسلام حتّى تجاوزت الحدّ وخرجت عن الآداب، وخدشت العواطف ومسّت شرف صاحب الرسالة).

ومع هذا، لم ينطلق الشيخ كاشف الغطاء مِن منطلق الجدل والخصومة، بل اتّخذ منهج الجدال الأحسن، وحلف بأنّه ما قصد الشقاق والغلبة والعصبيّة والحمية الجاهليّة، فقال: (الله يعلم أنّي ما كتبتها للردّ والإيراد، ولا لإلقاح الفتنة والفساد، جمعتها للجمع لا للتفريق، وألّفتها لتأليف الفرق لا لاختلاف الفريق).

وقد التزم قدس سره بهذا المنهج المعتدل في جميع مساجلاته مع المسيحيّة، سواء في إثبات تفوّق الإسلام أم في مقام إثبات ما ورد مِن الدسّ والتحريف في العهدين، أم في مقام ردّ الشبهات المثارة والدفاع عن الإسلام والنبيّ وشريعته الغرّاء.

ظ: كتاب الدين والإسلام للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.


ما الأهمية في أن أجلس في صدر المجلس
أو دون هؤلاء؟!

موعظة أخلاقية من السيد محمد رضا السيستاني (دام ظلّه) ذكرها في ختام جلسته العلمية الثانية، والتي عقدت في مقر مجلة (دراسات علمية) في النجف الأشرف، يوم الثلاثاء (٦ من شهر رمضان ١٤٤٧).

قال (دامت بركاته): قد طلب بعض الإخوة أن أختم هذه الجلسة المباركة بذكر ما يُنتفع به من سيرة علمائنا الأبرار (قدس الله أسرارهم) وأكتفي بذكر أنموذج منها، سمعته من السيد الأستاذ (قده)، فقد كنت ذات ليلة متشرفًا بالحضور في برانيه لأعرض عليه بعض استفساراتي حول ما أفاده في مجلس الدرس، وبمناسبة معينة ـ لا حاجة إلى ذكرها ـ طلبت منه (رض) أن يزودني بنصيحة أنتفع بها في مسيرتي الحوزوية، وكنت يومئذ شابًا في منتصف العقد الثالث من العمر، فسكت (قده) للحظات، ثم حكى لي الآتي..

قال: ((كان أستاذنا الشيخ محمد حسين الأصفهاني ـ وهو معروف لديكم، صاحب الحاشيتين العظيمتين على الكفاية والمكاسب، الذي عرف بدرجة عالية من التحقيق والتدقيق، بالإضافة إلى ملكاته الفاضلة الأخرى ـ يحضر قبل ظهر كل يوم بعض الوقت في براني الميرزا مهدي الخراساني، احترامًا لأستاذه المحقق صاحب الكفاية (قده)، وكان موضع جلوسه بعيدًا عن صدر المجلس، متأخرًا عن ثلاثة أشخاص هم دونه بمراتب في المكانة العلمية وسائر الكمالات المعنوية.

وقد عزّ ذلك على محبيه وتلامذته، فصارحوه ذات مرة بذلك قائلين له: شيخنا لا يناسب شأنكم ومكانتكم العليا في العلم والدين أن يحجز هؤلاء لأنفسهم مكانًا في صدر المجلس، وتجلسون أنتم دونهم فيه.

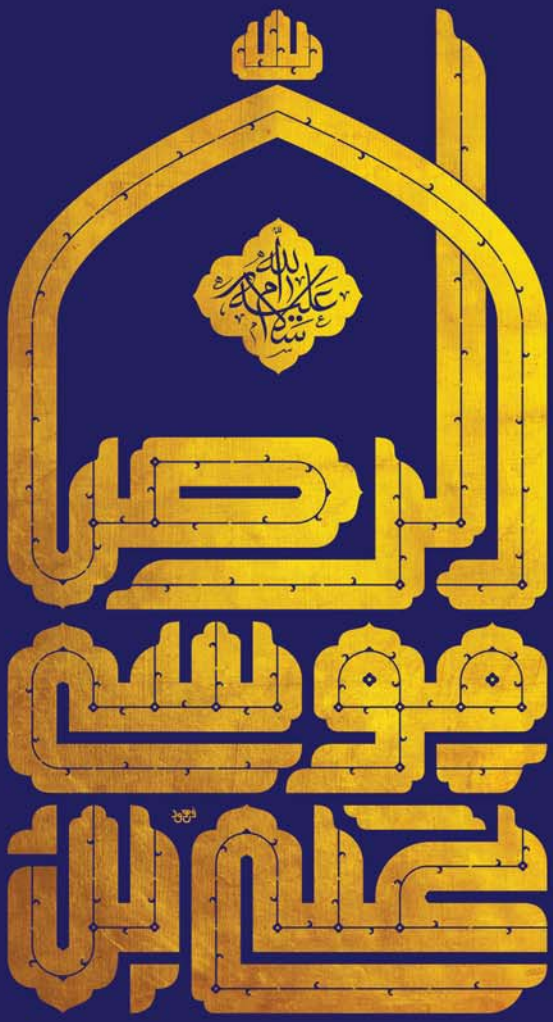
فأجابهم (قده) قائلًا: إن المهام التي يتصدى لها العلماء أربعة: التدريس، وإمامة الجماعة، والإفتاء، والقضاء، وأسألكم إذا دار الأمر بيني وبين أي من هؤلاء للتصدي لأيٍّ من المهام المذكورة، فمن هو المقدم عند الفضلاء وأهل العلم عامة؟

فأجابوا: لا ريب في أن التقدم لكم.

فقال: إذن فما هي الأهمية في أن أجلس في صدر المجلس أو دون هؤلاء؟! لماذا يعنيكم هذا الأمر وتهتمون به؟! هذا إذا لوحظ الجانب الدنيوي في القضية، وأما إذا لوحظ الجانب المعنوي كما هو المترقب من أمثالنا فمن الواضح أنه لا ينبغي الاهتمام حتى بالتقدم والتأخر في التصدي للمهام المذكورة، فضلًا عن بعض المظاهر الثانوية التي لا تقدم ولا تؤخر)).

هذا ما اختاره السيد الأستاذ (قده) أن يذكره لي في مقام النصح والتوجيه، ولعله أراد أن يقول: أنه ينبغي لطالب العلم أن يجعل محط اهتمامه هو التقدم في مدارج العلم وتزكية النفس، ولا يعير أهمية للمظاهر التي هي من شؤون حب الجاه والموقع والعنوان.

والحقيقة أن هذه نصيحة غالية، ويجدر بكل واحد منّا أن يحرص على تطبيقها، ولكن لا بدّ أن يراعي الأخذ بمقتضاها في مختلف تصرفاته، وإلّا أورَثَ سوءَ الظن به، وعُدّ متصنعًا، فإذا كان لا يتقيد عند الدخول في مجلسٍ بالجلوس في صدره، فليكن في هندامه وسائر حركاته وسكناته ولا سيما في تعامله مع الآخرين، وفي ردة فعله تجاه من يسيء إليه بغير حق حريصًا كل الحرص على الابتعاد عمّا يوهم كونه لغرض دنيوي. وهذا امتحان عسير لم ينجح فيه كثيرون.


السلام علیک یا علی بن موسی الرضا

مسابقة العدد 205

مسابقة علمية خاصة بهذا العدد،
يمكنكم الاشتراك بها إلكترونياً
عبر مسح الباركود أو عبر الرابط:

https://forms.gle/dk6AvkUR1Z1rj9Ti9

علماً أن أجوبة الأسئلة تجدونها في مقالات هذا العدد
آخر موعد للمشاركة يوم 29 صفر الخير
هناك هدايا مالية لثلاثة فائزين

تعلن أسماء الفائزين في
المسابقة عبر قناة مجلة
الولاية في التلكرام

